هذه رسالة في التكلم على مبادئ التفسير، وكيفية إنزال القرآن ، وبيان إنزاله على سبعة أحرف، وبيان وجه إعجاز القرآن

للعلامة الفاضل شيخ الإسلام

الشيخ / محمد الخضري الشافعي مذهباً الدمياطي بلداً المتوفى ١٢٨٧ هـ

غفر الله ذنوبه

وستر في الدارين عيوبه

تحقيق ودراسة وتعليق

د / عبد الحميد بسيوني عبد الحميد الزغبي

كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

١٤٤١ هـ = ٢٠٢٠م

ض

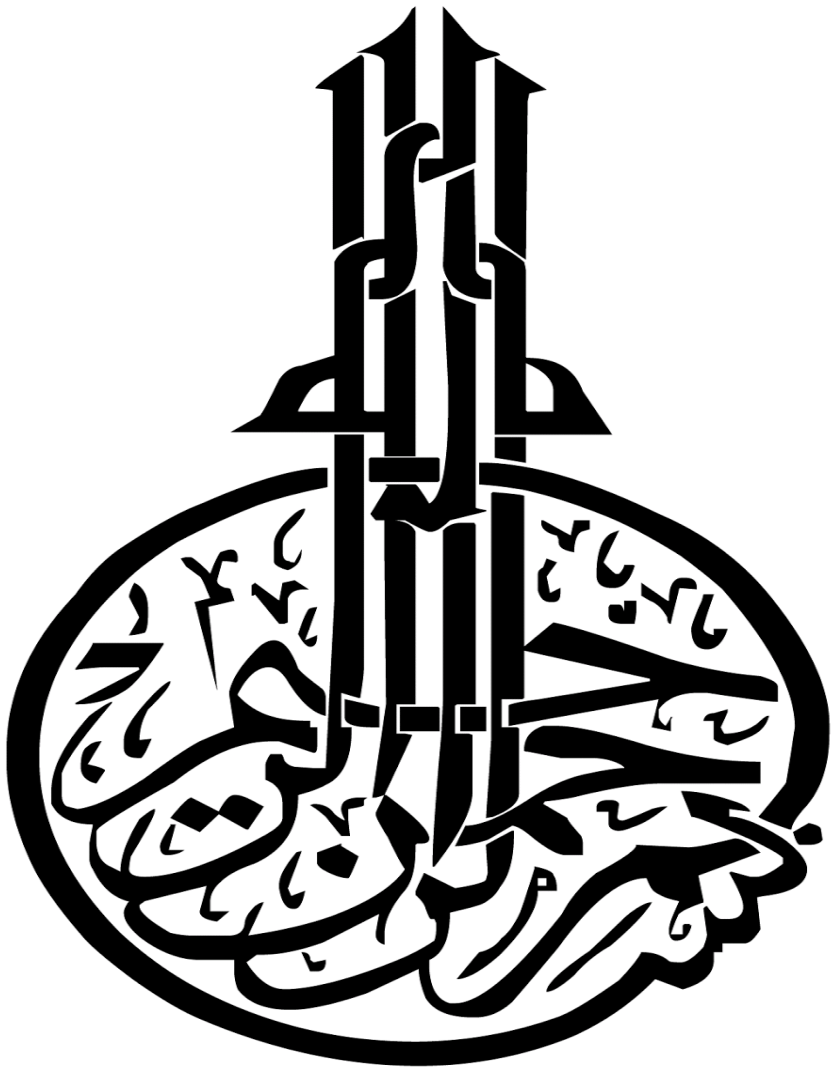

رسالة في التكلم على: مبادئ التفسير، وكيفية إنزال القرآن ، وبيان إنزاله على سبعة أحرف، وبيان وجه إعجاز القرآن للعلامة: الفاضل شيخ الإسلام الشيخ / محمد الخضري الشافعي مذهبًا الدمياطي بلدًا المتوفى ١٢٨٧ هـ

عبد الحميد بسيوني عبد الحميد الزغبي –

كلية اللغة العربية بالمنوفية – جامعة الأزهر – القاهرة – مصر

البريد الإلكتروني: abdobas22@yahoo.com

الملخص:

تناولت هذه الدراسة تحقيقًا لرسالة قيمة تنبئ عن عمق وسعة فكر مؤلفها في الدراسات القرآنية والتفسيرية، والمتتبع لهذه الرسالة يجد أنها عالجت قضايا كبيرة لدىٰ علماء التفسير وعلوم القرآن والقراءات القرآنية؛ حيث يسَّرَت علىٰ المهتمين بهذه الدراسات معرفة الأقوال الصحيحة، أو المرجوحة، لدىٰ العلماء علىٰ رأس هذه القضايا مبادئ التفسير التي يجب أن يتسلح بها من يريد أن يقحم نفسه في هذا الميدان، وكيف يبدأ في تفسير كتاب الله، وما هي الضوابط التي ينتهجها، وكذلك قضية نزول القرآن علىٰ رسول الله – ﷺ- في ليلة القدر، وفي شهر رمضان، وتوضيح الأقوال فيها، ثم مسألة الأحرف السبعة، واللهجات، والقراءات، ما المقصود بها، ثم قضية إعجاز القرآن .أهي بلاغته؟ أم إخباره عن الغيبيات؟ وما القدر المعجز فيه، أهي عشر آيات، أم سورة، أم عشر سور، أم جميعه كما قالت بعض الفرق الإسلامية، ثم قضية جمع القرآن خاصة في عهد

عثمان – ﷺ – وهل هذا الجمع كجمع أبي بكر الصديق – ﷺ – أم ماذا؟ ثم عن تعريف المعجزة، ثم دحض قول من قال أن القرآن مُعْجِزٌ (بالصرفة).

وتوصي هذه الدراسة بأن علىٰ المفسر أن يرجع إلىٰ مثل هذه المبادئ، والمسائل التي قام الخلاف حولها بين العلماء قديما وحديثا، والرجوع إلىٰ هذه الكتب والرسائل.

الكلمات المفتاحية: مبادئ – رسالة – نزول القرآن – إعجاز– الخضري– كيفية– أحرف–

A tractate on Islamic logic: principles of exegesis, how the Qur'an was revealed, showing its revelation on seven dialects, and aspects of its miraculousness by scholar Sheikh / Mohammad Al-Khudary, of Al-Shafa'i school, of Damietta, d. 1287 AH

Abdel-Hamid Basiouny Abdel-Hamid El-Zoghby
, Faculty of Arabic Language in Menoufia, Al-Azhar University Cairo . Egypt
Email:abdobas22@yahoo.com

Abstract :

This study edits a valuable tractate indicating erudition of its author in Qur'anic and exegesis studies. It has addressed major issues among scholars of interpretation, Quranic sciences and Qur'anic readings. It made it easier for those interested in these studies to know the correct sayings, or the likely ones, of scholars mainly the principles of interpretation that should be followed by those who want to get involved in this field, how they begin to interpret Qur'an, the controls to follow, the issue of the revelation of the Qur'an to the Messenger - may God bless him and grant him peace -on the Night of Power (*Laylat Al-Qadr*), in Ramadan, and clarifying its words. Then what is meant by the seven letters, dialects, or readings, the issue of Qur'an miracles. Is it its being rhetoric? or telling about the unseen? What is the amount of miracle in it? ten verses, a surah, ten suras, or all of it as some Islamic groups maintained? Then come the issue of compiling the Qur'an, especially during the era of Othman - may God be pleased with him. Was it like the collection of Abu Bakr Al-Siddiq - may God be pleased with him? The definition of the Miracle and refuting

claims that the Qur’an was a miracle by way of being embellished. This study recommends that exegetes refer to such principles, issues of dispute among old and modern scholars, books and tractates.

Keywords: principles - tractate - revelation of the Qur'an - miracle –Al-Khudary- manner-dialects

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين ،وسيد الخلق أجمعين.

وبعد

فلقد أنزل الله – ﷻ – القرآن الكريم علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين ، كتاب معجزة ومنهج، تحدىٰ به العرب أرباب الفصاحة والبيان، لا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولقد كان صحابته – ﷺ- يحفظونه فور سماعه، وبعضهم عني بكتابته، ثم التفوا حوله التماسًا للهدىٰ ، ودراسة لآياته، فتعددت الاتجاهات، بين تفسير لآياته، ودراسة لأحكامه ،وبيان لأسباب نزوله، وكشف عن إعجاز ألفاظه وتراكيبه.

ولقد ركزت طائفة من العلماء العاملين ، علىٰ دراسة مبادئه ، وضوابط تفسيره، وقراءاته ، ولهجاته، والحروف التي نزل بها القرآن ، ووجوه إعجازه، بما يسمىٰ(علوم القرآن والقراءات) وكان من الذين سارعوا إلىٰ هذا الميدان شيخ الإسلام / الخضري الشافعي ، فكتب رسالة تعدل أسفارًا كبيرة لمن وعاها ،وتأملها بعين العلم والبصيرة، هي في مجملها موجزة لكنها مليئة بالعلوم النافعة ، فتكلم فيها علىٰ المبادي التي يجب أن يتسلح بها المفسر قبل وُلُوجه ميدان التفسير ، وعلوم القرآن ، والقراءات، وَأَوْضَحَهَا وضوحَ الشمس في رائعة النهار، ثم تكلم فيها عن الفرق بين التفسير والتأويل ، وحكم التفسير بالرأي والاجتهاد ، وكيفية إنزال القرآن علىٰ قلب خاتم الرسل أجمعين؛ بل تنزلات القرآن الثلاثة، وفسر الأقوال فيها، وكتابة القرآن في عهد النبي -ﷺ- وجمعه في خلافة

الصديق ، وعثمان – رضي الله عنهما – ثم تكلم عن إعجاز القرآن بالصرفة ، وتفنيده ودحضه ، وردِّه علىٰ زاعميه، ثم القدر المعجز من القرآن، وكذا الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن أهي القراءات ؟ أم هي اللهجات العربية؟ ثم ختم بتنبيهات.

منها: لِمَنْ وقع التحدي بالقرآن؟ للجن ، أم للإنس؟ أم هما معًا؟ ودحض فرية من قال بأن التحدىٰ وقع للإنس فقط ؛ لِأنهم ليسوا من أهل اللسان.

وختامًا فهي رسالة جديرة بالقراءة والتمعن ، لأهل هذا الفن وغيره من الفنون العلمية، فليست مقتصرة علىٰ أهل هذا الفن فقط.

والله أسألُ أن يجعل هذا العمل مقبولًا مرضيّا، وأن يكون في ميزان الحسنات يوم العرض علىٰ الله – إنه ولىٰ ذلك والقادر عليه–

د/ عبد الحميد بسيوني الزغبي

مقدمة التحقيق

١ - التعريف بصاحب هذه الرسالة:

هو: محمد بن مصطفىٰ بن حسن الخضري ، فقيه ، شافعي، عالمٌ بالعربية، مفسِرٌ، ناظمٌ.

٢ - مولده وحياته:

ولد بدمياط من أعمال مصر سنة ١٢١٣ هـ ، ودخل الأزهر فمرض وصُمّت أُذناه ، فعاد إلىٰ بلده ، واشتغل بالعلوم الشرعية والفلسفية، واستخرج طريقة لمخاطبته بأحرف إشارية بالأصابع ، فتعلمها منه أصحابه فكانوا يخاطبونه بها، ولعلها تشبه الطريقة التي يتبعها الصُّم في وقتنا، وهذا يدل علىٰ أنه كانت لديه عزيمة قوية ، وإرادة وعدم يأس من رحمة الله ، فلم يكن من أولئك الذين يستسلمون للمرض؛ بل تغلب علىٰ هذه العاهة باستخراجه لهذه الطريقة وتصنيفه في عدد من العلوم حتىٰ صار له شأن عظيم.

وقد كان يقرئ بالمدرسة الطيبرسية، وأنه خاتمة المحققين، ومن أكابر علماء السادة الشافعية .

كتب الكتب المطولة من المعقول والمنقول ، وأخذ عنه الجم الغفير، وواظب علىٰ الإفادة والتدريس ، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له عن شيوخه الكثير إلا أنه قال : قال شيخنا الإمام العطار.[1]

---

[1] هو : حسن بن محمد ، من علماء مصر ، أصله من المغرب، ومولده ووفاته في القاهرة تولىٰ إنشاء (جريدة الوقائع المصرية) ثم مشيخة الأزهر ،ثم توفي سنة ٢٥٠ هـ له حواشٍ مطولة في المنطق ، والعربية. ينظر: الأعلام للزركلىٰ٢/ ٢٢٠

٣- وفاته:

توفي بدمياط سنة ١٢٨٧، وله من العمر ٧٤سنة ، وقيل سنة:١٢٨٨ه، وقيل: سنة ١٢٩٨ والأرجح أنه في ١٢٨٧ إذ إن هذا التاريخ موافق لعمره ، ودفن في مصر في باب النصر.[1]

٤- مؤلفاته:

كان الشيخ – رحمه الله – واسع الثقافة ، متعدد المواهب العلمية ،فقد ذكرت كتب التراجم عن مؤلفاته الكثير. منها:

- أصول الفقه
- حاشية علىٰ شرح الملوي علىٰ السمرقندية في البلاغة
- سواد العين
- شرح اللمعة في حل الكواكب السيارة السبعة
- منظومة في متشابهات القرآن .
- وأشهر كتبه علىٰ الإطلاق حاشيته علىٰ شرح ابن عقيل.

٥- منهجه في الرسالة:

هذه الرسالة ، أو المخطوط جعله المؤلف علىٰ هيئة مسائل ، فيذكر العنوان ويقول: وفيه ثلاث مسائل ، ثم يذكر ويرجح، وهو يقوم علىٰ دراسة مبادئ التفسير التي يجب علىٰ كل من أقحم نفسه ، وتصدىٰ لتفسير كتاب الله – تعالىٰ– أن يتسلح بهذه المبادئ ، وواضعوا علم التفسير من الصحابة ، والتابعين، وأشهر الذين فسّروا القرآن من الصحابة ، ولما كان تفسير القرآن يحتاج لمعرفة

---

[1] ينظر: ترجمته في الأعلام للزركلي٧/ ١٠٠، ومعجم المؤلفين لكحالة ٣/ ٧١٨، وإيضاح المكنون في الذيل علىٰ كشف الظنون لمصطفي الحنفي ٣/ ١٢٠ ،والخطط التوفيقية لعلىٰ مبارك ٢/ ٩١

نزول القرآن منجمًا، أو مفرقًا، أو ما نزل أولًا وآخرًا ،أعقب المبادئ بكيفية إنزال القرآن علىٰ قلب رسول الله-ﷺ- وأقوال العلماء فيه حتىٰ يتوارىٰ الاختلاف بينهم ،ثم أعقبهما بإنزال القرآن علىٰ سبعة أحرفٍ ،وفصل الأقوال فيها .أهي القراءات القرآنية ،أم اللهجات العربية ؟، ناسبًا كل قول إلىٰ قائله، والحديث إلىٰ مصنفه، ثم بيّن وجه إعجاز القرآن ، هل بجميعه كما قالت المعتزلة ، أم بأقصر سورة منه ، أم بآية ، أم بغير هذا ، ثم تعرض لقضية جمع القرآن ، واستأنس بما قاله الباقلاني في الانتصار للقرآن وما دار فيه من أقوال ، ودحض قول من قال بأن القرآن وجه إعجازه (القول بالصرفة)

٦- منهج التحقيق:

أولًا: نسخ النص بطريقة الكتابة الحديثة ، وكتابة الآيات القرآنية بخط المصحف؛ حفاظًا عليها من التحريف أو التبديل عند الكتابة.

ثانيًا: نسبة الأقوال إلىٰ قائليها ، والأحاديث إلىٰ مصنفيها قدر المستطاع.

ثالثًا: عرفت بجميع الأعلام الواردة في النص من بعض مظانها اكتفاءً بالبعض عن الكل .

رابعًا: وضحت الألفاظ الغريبة الواردة في النص من كتب المعاجم .

خامسًا: خرجت القراءات القرآنية مع بعض الإضافات في توجيهها من كتب القراءات ، كالسبة لابن مجاهد، والكشف لمكي، وغيرهما

سادسًا: عرفت بالمصطلحات الواردة بالبحث (مصطلحات علوم القرآن) كالسورة مثلًا .

سابعًا: خرجت الآيات القرآنية ناسبا كل آية إلىٰ سورتها ذاكرا اسم السورة، ثم رقمها، ثم رقم الآية

ثامنًا : قمت بعمل فهارس للآيات القرآنية ، والأحاديث، والأعلام.

غلاف نسخة المخطوط من المكتبة الأزهرية

صفحة العنوان من المخطوط

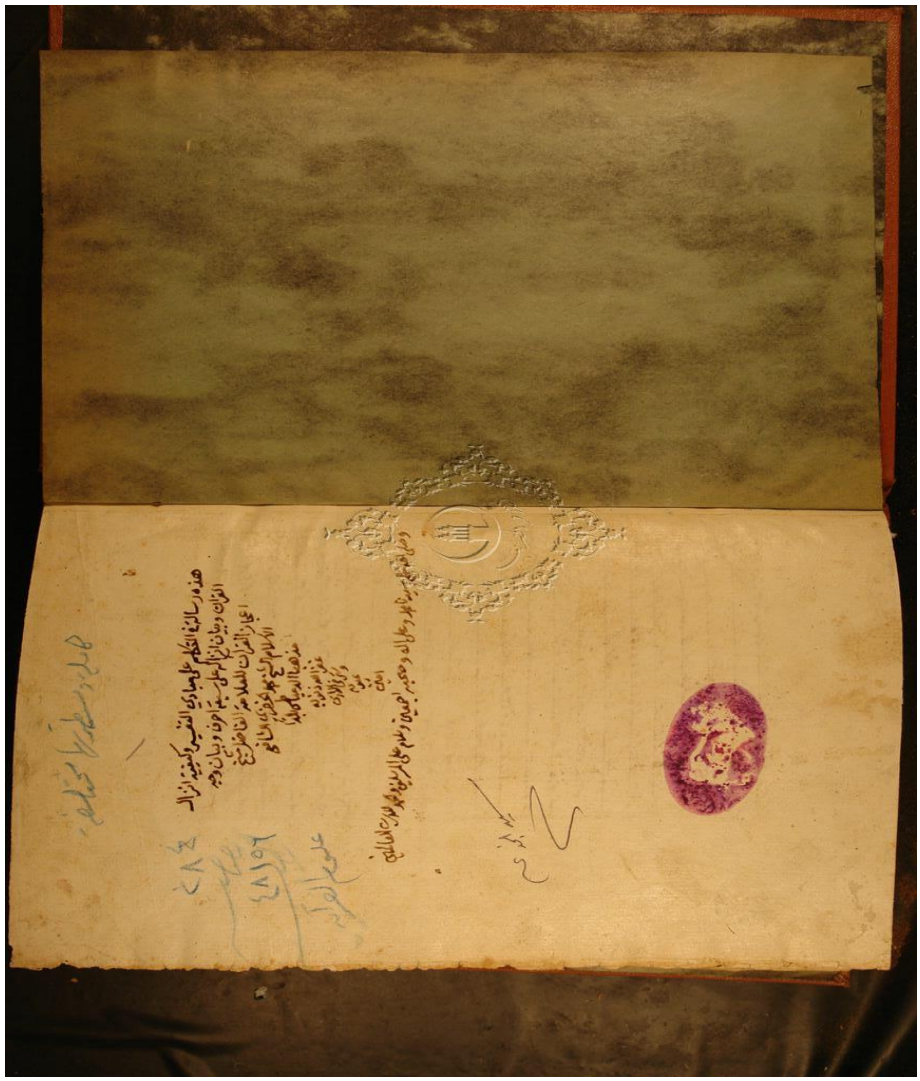

الصفحة الأخيرة من المخطوط

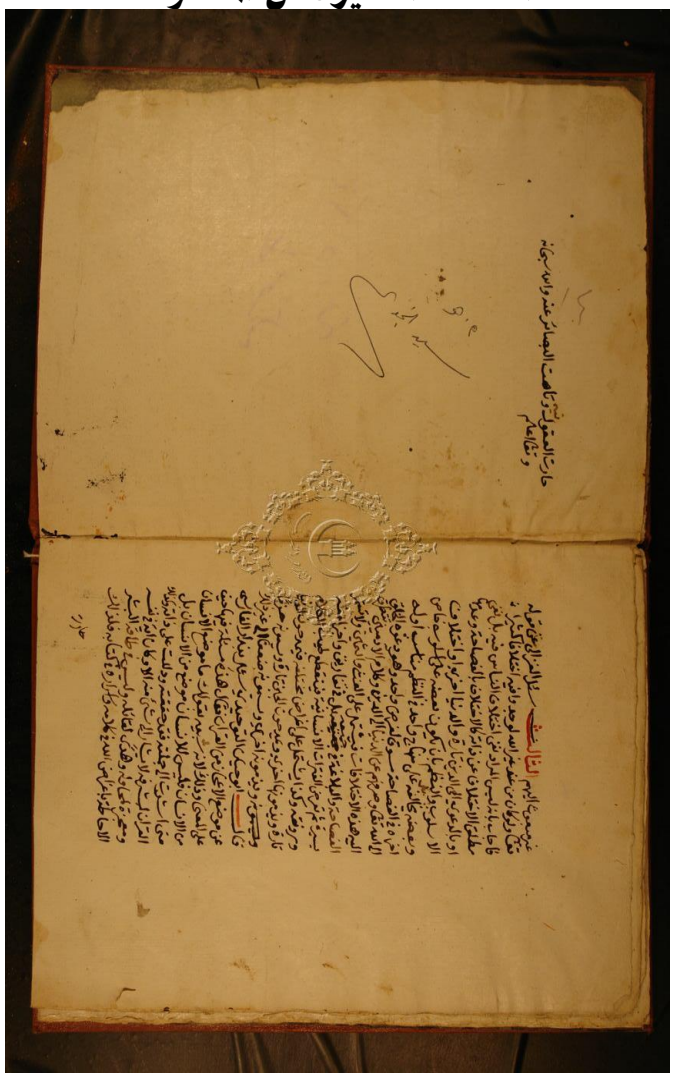

هذه رسالة في التكلم على

مبادئ التفسير، وكيفية إنزال القرآن ،

وبيان إنزاله على سبعة أحرف، وبيان وجه إعجاز القرآن

للعلامة الفاضل شيخ الإسلام

الشيخ / محمد الخضري الشافعي مذهباً الدمياطي بلداً المتوفى ١٢٨٧ هـ

غفر الله ذنوبه

وستر في الدارين عيوبه

آمين

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيدنا ومولانا أوحد الفضلاء، وعمدة الجهابذة النبلاء، معدن الأسرار الربانية، والمعارف الحمدانية، الإمام المبجل، والهمام الذي هو بالكمال مفضل، منبع الأسرار ومطلع الأنوار، واسطة عقد الأخيار المتخلق بالأخلاق النبوية، المتحقق بالحقائق العرفانية، والرقائق الرحمانية، بحر المعارف، معدن اللطائف، خاتمة المحققين، شمس الملة والدين، من هو بكل وصف جميل حري، شيخ الإسلام الشيخ محمد الحضري، سقىٰ الله ثراه صبيب الرحمة والرضوان، وأسكنه أعلىٰ فراديس الجنان[1]، آمين.

[1] أي: أنزل الله عليه رحمته ، ورضوانه، كثيرًا حتىٰ يعم جسده، ويفيض عنه إلىٰ التراب الذي تحته ، (وأسكنه أعلىٰ فراديس الجنان) أي: أعلىٰ درجات الجنان بالنسبة لأقرانه ،فهو نسبي لا مطلق ؛لأن الأعلىٰ المطلق لا يكون إلا له -ﷺ- ، وليس في الجنة إلا فردوس واحد.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

اعلم أنه ينبغي للشارع في أي علم أن يقدم مبادئه المنظومة في قوله:

مبادئ كل فن كان حدٌّ وموضوعٌ وغايةٌ مستمدُّ

وفضل واضع وكلم وحكم مسائل نسبةٌ عشرٌ تعدُّ [1]

فيقدم معرفة لحدّه ليتصوره إذ المجهول المطلق لا يطلب وإن كان يمكن في ذلك تصوره بوجه مّا ولو بالاسم لكن الجد الحمل وموضوعه ليتميز عن غيره ؛ لأن العلوم إنما تمتاز عن بعضها بتميز موضوعها وغايته التي هي الغرض منه ليصون فضله عن العبث وإلا كان كالهائم لا يدري أين يتوجه وما يستمد منه ليعتد به لتحصيله وشرفه ليجد فيه بقدره والباقي لكمال البصيرة في الشروع فيه.[2]

---

[1] ونسب هذه المنظومة للخضريِ أبو بكر بن محمد شطا الدمياطي -المشهور بالبكري - (المتوفى : بعد ١٣٠٢ ه)في كتابه (حاشية إعانة الطالبين) علىٰ حاشية حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين لزين الدين بن عبد العزيز المعبري المليباري (المتوفى : ٩٨٧ ه) ينظر: حاشية إعانة الطالبين ١/ ٢٢

[2] هذه المبادئ العشرة اسم لمجموعة من المعاني والمعارف يتوقف عليها الشروع في طلب العلم، وبيانها كالآتي:

- الحد: ويقصد به التعريف الجامع لمسائل العلم ومباحثه، المانع من دخول غيره فيه.
- الموضوع: وهو المجال المحدد الذي يبحث فيه العلم، والجهة التي تتوحد فيها مسائله.
- الغاية أو الثمرة: الفائدة التي يحصِّلها دارس العلم في الدارين.
- الاستمداد: الروافد والأسباب العلمية التي يستقي منها العلم مسائله ومطالبه.

فنقول: قال الأشعري: **القرآن** من قَرَنْتُ الشيء بالشيء إذا ضممته إليه لاقتران سوره وآياته وحروفه فهو بلا همز ونونه أصلية.[1]

وقال غيره: من القراءة كالجمع لفظًا ومعنًىٰ تقول: قرأت الماء في الحوض جمعته؛ لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة وعلومها فهو بالهمز مصدر كالغفران والرجحان وقد يخفف بترك همزه.[2]

وعن إمامنا الشافعي أنه كان يهمز قرأتُ ولا يهمز القرآن ويقول: هو اسم كتاب الله لم يؤخذ من قرأت فهو غير مشتق ونونه أصلية [3]

- الفضل: ما للعلم من منزلة وشرف وأهمية بين العلوم.
- الواضع: أول من ابتدأ التدوين والتصنيف في العلم، ووضع أساسه وأرسىٰ قواعده.
- الاسم: الألقاب التي أطلقها أهل هذا العلم عليه لتمييزه عن غيره.
- الحكم: الحكم الشرعي المتعلق بتعلم هذا العلم من بين الأحكام التكليفية الخمسة.
- المسائل: وهي المطالب التي يبحثها ويقررها العلم والذي يندرج تحت موضوعه.
- النسبة: صلة العلم وعلاقته بغيره من العلوم. ينظر: مدخل إلىٰ علم العقيدة د/ محمد يسري١/ ٢٧

[1] ينظر : البسيط للواحدي ٣/ ٥٧٦، ومفاتيح الغيب للرازي ٥/ ٢٥٣، وجمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي ١/ ٧٥، والبرهان للزركشي ١/ ٢٧٨، ومعترك الأقران للسيوطي ٢/ ٣٢٩،والإتقان للسيوطي١/ ١٤٤،

[2] نسب هذه الأقوال السيوطي في الإتقان لـ اللحياني ، والزجاج
ينظر: الإتقان ١/ ١٤٤

[3] ونص علىٰ اختيار هذا القول السيوطي فقال بعد أن ذكر كثيرا من الأقوال: وأما القرآن فاختلف فيه فقال جماعة هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله فهو غير مهموز وبه قرأ ابن كثير وهو مروي عن الشافعي أخرج البيهقي والخطيب وغيرهما عنه أنه كان يهمز قرأت ولا يهمز القرآن ويقول القرآن اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت

وحكىٰ قطرب[1] قولًا : أنه يسمىٰ قرآنًا لأن القارئ يخرجه من فيه من قولهم [٣أ] ما قرأت الفاقة سلًىٰ قط أي ما أخرج الفقر ولدًا والسلىٰ كالفتىٰ المشيمة التي تخرج مع الولد.[2]

ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة ، والإنجيل ، ويقول: قلت والمختار عندي في هذه المسألة ما نص عليه الشافعي . ينظر : الإتقان ١/ ١٤٤

[1] هو أبو علىٰ محمد بن المستنير البصري النحوي اللغوي المعروف ب(قطرب) سمي بقطرب ؛لأنه كان يبكر إلىٰ سيبويه للأخذ عنه ،فإذا خرج سيبويه سحرًا رآه علىٰ بابه ، فقال له يومًا: ما أنت إلا قطرب ليل(إشارة إلىٰ دويبة تنشط في الظلام)توفىٰ ٢٠٦ ه ينظر: بغية الوعاة١/ ٢٤٢، وإنباه الرواة ٣/ ٢١٩، وفيات الأعيان٣/ ٤٣٩

[2] واحتج قطرب لهذا القول بقول حميد بن ثور :

أراها غلاماها الخكي فتشذرت * مراحًا ولم تقرأ جنينًا ولا دمًا**

أي: لم ترم بجنين ولا ولد. ينظر: معاني القرآن لقطرب ص١٨٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٨؛ لكن يعقب الزرقاني علىٰ كل هذه الأقوال فيقول: أما لفظ القرآن: فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [سورة القيامة:١٧-١٨].، - ثم نقل من هذا المعنىٰ المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل علىٰ النبي -ﷺ- من باب إطلاق المصدر علىٰ مفعوله. ذلك ما نختاره استنادا إلىٰ موارد اللغة وقوانين الاشتقاق وإليه ذهب اللحياني وجماعة. أما القول بأنه وصف من القرء بمعنىٰ الجمع أو أنه مشتق من القرائن. أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء أو أنه مرتجل أي: موضوع من أول الأمر علما علىٰ الكلام المعجز المنزل غير مهموز ولا مجرد من أل فكل أولئك لا يظهر له وجه وجيه ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة ولا من بعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة.

وعلىٰ الرأي المختار فلفظ قرآن مهموز وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف وإذا دخلته أل بعد التسمية فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف.مناهل العرفان للزرقاني ١/ ١٤

وشرعًا هو: اللفظ المنزل علىٰ سيدنا محمد – صلَّىٰ الله عليم وسلَّم – للتحدي بأقصر سورة منه المنقول تواترًا.

والتحدي: طلب المعارضة لإظهار العجز علىٰ ما ستعرفه.

والتفسير لغة : من الفَسْرِ وهو البيان والكشف.[1] ويقال: هو مقلوب السِّفر تقول: أسفر الصبح إذا أضاء.[2]

واصطلاحًا : علم يبحث فيه عن عوارض القرآن المجيد من حيث دلالته علىٰ مراد الله – تعالىٰ – قطعًا، أو ظنًّا بحسب الطاقة البشرية . ويدخل في ذلك بيان كيفية النطق بألفاظه ، وبيان مدلولاته الإفرادية، والتركيبية ، واستخراج أحكامه وحكمه وما يتبع ذلك من سبب النزول والنسخ وغيره.[3]

---

[1] تاج العروس للزبيدي مادة (فَسَرَ) فَسَرَ الشيءَ يَفْسِرُه ويَفْسُرُه وفَسَّرَه : أَبَانَهُ . وانظر: العين للخليل مادة (فسر)

[2] ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة مادة (فسر) ويتضح من هذا أن التفسير يُستعمل لغة فىٰ الكشف الحسِّىٰ، وفىٰ الكشف عن المعانىٰ المعقولة، واستعماله فىٰ الثانىٰ أكثر من استعماله فىٰ الأول. التفسير والمفسرون للذهبي١/ ٥

[3] ينظر: شرح كتاب مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ١/ ١١ ، وقد عرفه العلماء بتعريفات عديدة منها تعريفات أطنب أصحابها ،ومنها أوجز أصحابها وعلق السابقون علىٰ اللاحقين في تعريفاتهم منها. قال أبو حيان: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب ، وتتمات لذلك.ثم شرح التعريف فقال: فقولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات. وقولنا ومدلولاتها ، أي مدلولات تلك الألفاظ ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف ، وعلم الإعراب ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب شمل

وموضوعه: القرآن من الحيثية المذكورة ؛ لأن موضوع العلم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية أو ما له تعلق بالعرض الذاتي فالمعروض هو الموضوع والبحث عن العوارض هو المسائل فالقضايا التي تبين كيفية النطق بألفاظ القرآن ودلالتها علىٰ معانيها ونحو ذلك هي مسائله هذا معنىٰ التفسير لغة واصطلاحًا.

بقوله التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة ، وما دلالته عليه بالمجاز ، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ، ويصد عن الحمل علىٰ الظاهر صاد ، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل علىٰ غير الظاهر ، وهو المجاز. وقولنا ، وتتمات لذلك ، هو معرفة النسخ ، وسبب النزول ، وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن ، ونحو ذلك .

لكن علق الشيخ أبو شهبة علىٰ هذا التعريف وقال: وهذا التعريف غير جَلِيٍّ ولا واضح ، وكذلك لم يصرح بالغرضين الأهمين اللذين نزل لهما القرآن : وهما :

١- كونه كتاب الهداية البينة التي هي أوضح الهدايات ، وأقومها ، والتي لو اتبعها البشر لحققت لهم السعادتين : الدنيوية والأخروية.

٢- والكتاب السماوي المعجز ، فهو المعجزة العظمىٰ والآية الكبرىٰ الباقية علىٰ وجه الدهر لنبينا محمد ﷺ .

وعرفه الزركشي فقال: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل علىٰ نبيه محمد -ﷺ- وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ. البرهان للزركشي١/ ١٣، وعلق أبو شهبة علىٰ هذا فقال: وهذا التعريف أوضح ، وأيسر من التعريفين السابقين ، وأدل علىٰ الغرضين الأهمين ، اللذين ذكرناهما آنفا.وزاد : ومن حيث كونه المعجزة العظمىٰ لنبينا محمد ﷺ]. والمراد بأحوال القرآن الكريم من حيث كونه كتاب الهداية الأقوم ، وكتاب العربية الأكبر ، والمعجزة الخالدة لنبينا محمد ﷺ.الإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة١/ ٢٧،وانظر: الإتقان للسيوطي ٢/ ٤٦٣،والتفسير والمفسرون للذهبي ١/ ٥،ومناهل العرفان للزرقاني٢/ ٣،

وأما التأويل لغة فمن الأوْل وهو الرجوع فكأنه أرجع الآية إلىٰ ما تحتمله من المعاني . [١]

وقيل من الإيالة وهي: التياسة فكأن المؤول يسوس الكلام ويضعه في موضعه . [٢]

وأما اصطلاحًا : فبمعنىٰ التفسير عند طائفة منهم أبو عبيدة وأنكر عليهم آخرون حتىٰ بالغ ابن حبيب [٣]فقال نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه.[٤]

وقال الراغب : لاستعماله في الكتب الإلهية وغيرها ويغلب في الألفاظ والمفردات والتأويل خاص بها ويغلب في المعاني والجمل . [٥]

وقال الماتريدي والقشيري وغيرهما : التفسير في معنىٰ لا يحتمل غيره فهو قطع وشهادة علىٰ أن الله عنىٰ باللفظ هذا . [٦]

والتأويل : ترجيح أحد المحتملات بالدليل بلا قطع وشهادة. فالتفسير مقصور علىٰ السماع فما بين في الكتاب والسنة يسمىٰ تفسيرًا وليس [٣ب] لأحد

---

[١] لسان العرب لابن منظور مادة (أَوَل)

[٢] أساس البلاغة للزمخشري١/ ١٤

[٣] الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب، أبو القاسم النيسابوري .ت ٤٠٦ ه ينظر: الأعلام للزركلي٢/ ٢١٣

[٤] الإتقان للسيوطي٢/ ٤٦٠

[٥] مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني المنشورة مع تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ، ص : ٤٠٢، والإتقان للسيوطي٢/ ٤٦٠، ومقدمة تفسير الألوسي١/ ٥

[٦] المرجع السابق

أن يتعرض له باجتهاده ولا غيره ؛ لأنه من باب الرواية .[1] والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعاني الخطاب. فهو من باب الدراية وشرف التفسير لا يخفىٰ. [2]

قال الأصبهاني : أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن؛ وذلك لأن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها كالصياغة مع الدباغة؛ لأن موضوع الأولىٰ الذهب والثانية جلد الميتة ، أو بشرف الغرض منها كالطب لغرض حفظ الصحة مع الكناسة لتنظيف البقعة أو بشدة الحاجة إليها كالفقه به صلاح الدين والدنيا فما من واقعة إلا ويفتقر إليه مع الطب المحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات .[3]

وعلم التفسير قد حاز الشرف من الجهات الثلاثة ؛لأن موضوعه كلام الله – تعالىٰ– ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة (فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق جديده ولا يملّ علىٰ الكثرة ترديده ولا تنقضي

---

[1] البرهان للزركشي ٢/ ١٥٠

[2] الإتقان للسيوطي ٢/ ٤٦١، وقال: وقال أبو طالب التغلبي: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل مثاله قوله تعالىٰ إن ربك لبالمرصاد تفسيره أنه من الرصد يقال رصدته رقبته والمرصاد مفعال منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه علىٰ خلاف وضع اللفظ في اللغة

[3] مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني المنشورة مع تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ، ص : ٤٢٢ ، والإتقان في علوم القرآن ٤/ ١٧٣.

عجائبه)[1] ولا تدرك غايته ولأن الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقىٰ والفوز بالسعادة الأبدية التي لا تفني ولشدة الحاجة إليه؛ لأن كل كمال دنيوي وديني مفتقر إلىٰ العلوم الشرعية وهي متوقفة علىٰ العلم بكتاب الله -تعالىٰ- وقد أجمع العلماء علىٰ أن التفسير من فروض الكفايات ، وأصل العلوم الشرعية ، وأما ما يستمد منه فقد قال العلماء : من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولًا من القرآن فما أجمل أو اختصر في موضع فقد بين وبسط في آخر[2] وقد ألف ابن الجوزي في ذلك كتابًا مثاله : ﴿فتلقىٰ آدم من ربه كلمات﴾[3] فسرتها آية: ﴿**قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا**﴾[4] إلخ،﴿لا تدركه الأبصار﴾[5] فسرتها آية﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[6] أي لا تحيط به ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[7] فسر بآية

---

[1] سنن الترمذي ، باب: ما جاء في فضل القرآن٥/ ١٧٢ وقال الألباني :ضعيف

[2] ينظر: مقدمة تفسير ابن كثير حيث قال: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلىٰ أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرىٰ بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لاسيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهم أجمعين-وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلىٰ أقوال التابعين".١/ ٨

[3] سورة البقرة ٢/ ٣٧

[4] سورة الأعراف٧/ ٢٣

[5] سورة الأنعام ٦/ ١٠٣

[6] سورة القيامة ٧٥ / ٢٣

[7] سورة المائدة ٥/ ١

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾[1] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُم﴾[2] قال العلماء: عهده﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي﴾ مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ [3] وعهدهم﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[4] [٤أ] الآية فإن أعياه ذلك طلبه من السنة فإنها شارحة للقرآن ومبينة له فإن لم يجده فيها رجع إلىٰ أقوال الصحابة فإنهم أدرىٰ به لما شاهدوه من القرائن عند نزوله ولما اختصوا به من الفهم التام والعمل الصالح وقد بين لهم النبي – صلَّىٰ الله عليم وسلَّم – معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يعلموا ما فيها من العلم والعمل ولذلك كانوا يقيمون في حفظ القرآن مدة طويلة وقد أقام ابن عمر-رضي الله عنه- علىٰ حفظ البقرة ثمان سنين كما في الموطأ[5] ولذا أطلق الحاكم في المستدرك أن تفسير الصحابي[6] الذي شاهد الوحي له حكم المرفوع[1]، أي: فكأنه رواه عن النبي –

---

[1] سورة المائدة ٥/ ٣

[2] سورة البقرة ٢/ ٤٠

[3] سورة المائدة ٦/ ١٢

[4] سورة المائدة ٦/ ١٢

[5] الموطأ لمالك بن أنس ،كتاب: القرآن،باب: ما جاء في القرآن ،رقم:٤٧٩ونصه كما جاء في رواية يحي الليثي: وحدثني عن مالك أنه بلغه أن عبد الله بن عمر :مكث علىٰ سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها .١/ ٢٠٥

[6] الصحابي "من رأىٰ رسول الله (ﷺ) وإن لم تطل صحبته له، وإن لم يرو عنه شيئًا هذا قول جمهور العلماء سلفًا وخلفًا، وقد نص علىٰ أن مجرد الرؤية كاف فىٰ إطلاق الصحبة: البخاري، وأبو زرعة وغير واحد ممن صنف فىٰ أسماء الصحابة، كان عبد البر، وابن منده، وأبىٰ موسىٰ المديني وابن الأثير فىٰ كتابه "أسد الغابة فىٰ معرفة الصحابة" وهو أجمعها وأكثرها فوائد وأوسعها وقال آخرون لابد فىٰ إطلاق الصحبة مع الرؤية أن يروىٰ

صلَّىٰ الله عليم وسلَّم – لكن قُيِّد في علوم الحديث بما إذا ذكر فيه سبب النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه وإلا كان من الموقوف، وعليه ابن الصلاح، وغيره من المتأخرين فيأتي فيه الخلاف في قول الصحابي هل هو حجة أو، لا[٢]،

حديثًا أو حديثن، وعن سعيد بن المثيب لابد من أن يصحبه سنة أو سنتين، أو يغزوا معه عزوة أو غزوتين.

ينظر : الباعث الحثيث صـ١٥١، ١٥٢ بتصرف وقال الحافظ العراقي "العبارة السالمة من الاعتراض أن يقال: الصحابي من لقي النبي (ﷺ) مسلمًا ومات علىٰ الإسلام، ينظر فتح المغيث ص ٣٤٣

[١] أخرجه الحاكم في المستدرك رقم (٣٠٢١) ٢/ ٢٨٣،ونصه : " عن ابن عباس رضي الله عنهما : في قوله عز و جل :" الحمد لله رب العالمين" قال : الجن و الإنس . قال الحاكم : ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل عند الشيخين حديث مسند .وذكره في أكثر من موع من تفسير سورة البقرة ،وسوردة يوسف،وسورة هود. لكن ذكر السيوطي قولا آخر للحاكم أن تفسير الصحابي موقوف فيقول: رأيت الحاكم نفسه صرح به في علوم الحديث فقال ومن الموقوفات تفسير الصحابة وأما من يقول إن تفسير الصحابة مسند فإنما يقول فيما فيه سبب النزول فقد خصص هنا وعمم في المستدرك فاعتمد الأول .

ينظر: الإتقان للسيوطي ٢/ ٤٧٣

[٢] كثر الخلاف حول هذا الحكم وهو تفسير الصحابي أله حكم المرفوع عن النبي أم ليس حجة؟ وخَلُصَ العلماء إلىٰ أن:

أولاً: تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلىٰ أسباب النزول وكل ما ليس للرأي فيه مجال، أما ما يكون للرأي فيه مجال فهو موقوف عليه.

ثانيًا: ما حكم عليه بأنه من قبيل المرفوع لا يجوز رده اتفاقًا؛ بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلىٰ غيره بأية حال.

ثالثًا: ما حكم عليه بالوقف تختلف فيه أنظار العلماء:

فذهب فريق إلىٰ أن الموقوف علي الصحابي من التفسير لا يجب الأخذ به؛ لأنه لما لم يدفعه علم أنه اجتهد فيه والمجتهد يخطئ ويصيب، والصحابة في اجتهادهم كسائر المجتهدين.

وذهب فريق آخر إلىٰ أنه يجب الأخذ به والرجوع إليه لظن سماعهم له من رسول الله (ﷺ) ولأنهم إن فسروها برأيهم فرأيهم صواب، لأنهم أدرىٰ بكتاب الله، إذ هم أهل اللسان، ولبركة الصحبة، والتخلق بأخلاق النبوة ، ولما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولم لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم كالخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس وغيرهم

ويقول الدكتور محمد أبو شهبة: (يعد حديث الصحابي الذي شاهد الوحي والتنزيل مرفوع إلىٰ النبي -ﷺ- بشرطين:

الأول: أن يكون قول الصحابي مما لا مجال للرأي فيه كأسباب النزول، وأحوال القيامة ، واليوم الآخر ونحوهما.

الثاني: أن لا يكون الصحابي معروفًا بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، أي: غير معروف برواية الإسرائيليات، والموضوعات).

وأما إذا كان قول الصحابي فيما للرأي ، والاجتهاد فيه مجال وعرف عنه الأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا فقوله موقوف.

ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ٩٥

يقول الدكتور محمود بسيوني فودة: (ليس معنىٰ أنه موقوف أن يستهان به أو يُردَّ ؛لأن صحابة رسول الله -ﷺ- لهم من العلم بلغة العرب وأسرارها ما ليس لغيرهم ويعرفون وجوه البلاغة فيها أكثر من مما سواهم ومن هنا يجب أن يقدم قول الصحابي الموقوف عليه علي غيره ممن أتىٰ بعده وهو من قبيل المأثور ولا شك في ذلك)

ينظر: نشأة التفسير ومناهجه د/ محمود بسيوني فودة ٧٨-٧٩

وفي المنقول عن التابعي[1] روايتان عن أحمد. وأكثر المفسرين علىٰ قبوله [2]؛ لأن الغالب تلقيه عن الصحابة وكذا كان الخلاف بين الصحابة في التفسير قليلًا جدًا وكذا بين التابعين وإن كان أكثر من الأول وربما نقل عن بعضهم عبارات مختلفة الألفاظ فيخيلها من لا فهم عنده أقوالًا وليس كذلك ؛ لأن غالب الخلاف المنقول عنهم يرجع إلىٰ اختلاف عبارة أو تنوع[3] لا اختلاف تضاد

---

[1] التابعي: قال الجرجانىٰ : "كل مسلم صحب صحابياً"، وقيل من لقيه وهو الأظهر، ينظر: الديباج المذهب للجرجانىٰ ٤٧، وقال السيوطىٰ: (معرفة التابعين واحدهم تابعىٰ وتابع واختلف فىٰ حده قال الخطيب هو من صحب صحابياً، ولا يكتفىٰ فيه بمجرد اللقيا. بخلاف الصحابىٰ .

ينظر تدريب الراوىٰ ٢/ ٢٣٤.

[2] قال الزركشي: وفي الرجوع إلىٰ قول التابعي روايتان عن أحمد واختار ابن عقيل المنع وحكوه عن شُعْبَة لكن عمل المفسرين علىٰ خلافة وقد حكوا في كتبهم أقوالهم كالضحاك ابن مزاحم وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأبي العالية الرياحي والحسن البصري والربيع بن انس ومقاتل بن سليمان وعطاء بن أبي سلمة الخراساني ومرة الهمداني وعلىٰ بن أبي طلحة الوالبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي بكر الأصم عبد الرحمن بن كيسان وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي وعكرمة مولىٰ ابن عباس وعطية العوفي وعطاء بن أبي رباح وعبد الله بن زيد بن أسلم .فهذه تفاسير القدماء المشهورين وغالب أقوالهم تلقوها من الصحابة ولعل اختلاف الرواية عن أحمد إنما هو فيما كان من أقوالهم وآرائهم. البرهان للزركشي٢/ ١٥٨

[3] اختلاف التنوع قسمان : " أَحَدُهُمَا " أَنْ يُعَبِّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنْ الْمُرَادِ بِعِبَارَةِ غَيْرِ عِبَارَةِ صَاحِبِهِ تَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنًىٰ فِي الْمُسَمَّىٰ غَيْرِ الْمَعْنَىٰ الْآخَرِ مَعَ اتِّحَادِ الْمُسَمَّىٰ ،كَمَا قِيلَ فِي اسْمِ السَّيْفِ الصَّارِمُ وَالْمُهَنَّدُ .

فلو قال الأول في تفسير السيف هو المهند، وقال الثاني : وهو الحسام، والثالث: هو المهند فهذا من باب اختلاف التنوع.

وذلك كتفسير ﴿الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[1] بالقرآن ، أو الإسلام ، أو طاعة الله ورسوله فهي عبارات مختلفة علىٰ شيء واحد؛ لأن كلًا من الطاعة والإسلام هو: اتباع القرآن؛ لكن ذكر كل منهم صفة من صفاته وكآية ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾[2] فسر بعضهم الـ ﴿سَابِقٌ﴾ بمن يصلي أول الوقت ، والـ ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾ في أثنائه ، والـ ﴿ظَالِمٌ﴾ بعد فواته وبعضهم: بمؤدي الزكاة المفروضة مع الصدقة ، وبمؤديها وحدها، وبمانعها فذكر كل فرد من أفرد العام علىٰ سبيل التمثيل لا الحصر فهذا وأمثاله ليس خلافًا وقد يرد عنهم تفسيران متضادان لكن لقراءتين مختلفتين [٤ب] فيظن التعارض كما رواه ابن جرير عن ابن عباس وغيره من

ومثل الشيخ بأسماء الله الحسنىٰ ؛ لأنها متغايرة ولكنها تدل علىٰ مسمىً واحد . واعلم -أيها المستمع الكريم- أنّ أسماء الله الحسنىٰ مترادفة من حيث دلالتها علىٰ الذات، متباينة من حيث اختصاص كل اسم منها بالمعنىٰ الخاص به .

النوع الثاني من نوعي اختلاف التنوع : أَنْ يَذْكُرَ كل مفسر مِنْ الِاسْمِ الْعَامِّ بَعْضَ أَنْوَاعِهِ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّمْثِيلِ .

مثلاً :قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة فاطر:٣٢].

فمنهم من يقول في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ : المضيع للواجبات . فهذا علىٰ سبيل المثال ، فلا تعارض بينه وبين من يقول : هو الواقع في المحرمات . فالذي يعاقر الخمر ظالم لنفسه، والذي يضيع الصلاة ظالم لنفسه ، وإنما ذُكر القولان للتمثيل لا للحصر، فلا خلاف بينهما .

فإذا وجدت في كتب التفسير من يفسر هذه الاية : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ : بآكل الربا، أو العاق لوالديه، أو الزاني ... فهذا لا تعارض فيه ؛لأنه تفسير بالمثال .

[1] سورة الفاتحة ١/ ٦

[2] سورة فاطر٣٥/ ٣٢

طرق في ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾[1] أي: سُدْت، ومن طرق بمعنىٰ: أُخِذَت ، ثم أخرج عن قتادة من شَدَّدَ سُكِّرَت أراد :سُدْت ، ومن خَفَفَهَا أراد: سُحِرَت . وهذا الجمع من قتادة[2] نفيس بديع[3] ، وكذا ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾[4] أخرج ابن جرير من طريق أنه : الذي يدهن به الإبل[5] ، ومن طريق آخر أنه: النحاس المذاب .[6]وليسا بقولين ؛

---

[1] سورة الحجر١٥/ ١٥

[2] قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه.ولد ٦١ هـ،وتوفى١١٨ه ينظر: الأعلام للزركلي٥/ ١٨٩

[3] القراءتان متواترتان . فقراءة التخفيف. قراءة ابن كثير أي: سُحِرَت وحبست والعرب تقول" سكرت الريح إذا سكنت "فكأنها حبست فكأن معنىٰ سُكِرَت أبصارنا لا ينفذ نورها ولا تدرك الأشياء علىٰ حقيقتها فكأنها حبست .

وقراءة التشديد"سُكِّرت " قراءة ابن عامر ، وأبو عمرو ،وحمزة ،والكسائي ،ونافع،وحفص. أي غشيت فغطيت كذا قال أبو عمرو والغشاء الحبس أيضا ، ويقول مكي في الكشف: وهما لغتان ؛لكن في التشديد معني التكثير والتكرير ،وحسن ذلك ؛لإضافته إلىٰ جماعة، لكل واحد بصر قد غُشي بغشاوة و" أَبْصَارُنَا" والأبصار جماعة فحقُّه التشديد ليدل علىٰ التكثير.

ينظر: حجة القرآن لابن زنجلة١/ ٣٨٢،والكشف لمكي ٢/ ٣٠،ومعاني القرآن لثعلب ١/ ٦٢٣،وجامع البيان للطبري ١٤/ ٢٧،والمحرر الوجيز لابن عطية ٤/ ١٢١

[4] سورة إبراهيم – عليه السلام – ١٤/ ٥٠

[5] جامع البيان للطبري١٣/ ٧٤٢،ونسبه للحسن ابن أبي حاتم في تفسيره،والسيوطي في الدر المنثور٨/ ٥٥١

[6] نسبه السيوطي لابن عباس في الدر المنثور٨/ ٥٨١،وقال الخليل القطر: النحاس المذاب ودليله قوله – تعالىٰ- ﴿ وَأَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ الجامع للقرطبي ١٤/ ٢٧٠

بل الثاني تفسير لقراءة (قِطْرٍ) [1] بالتنوين وهو: النحاس، (وَآنٍ) بالمد: شديد الحرارة[2] ويجب التحرز عما نقل من ذلك ضعيفًا ، أو موضوعًا فإنه كثير.

وقد تكفل علماء الحديث ببيانه ، ولذا قال أحمد[3] : ثلاث كتب لا أصل لها المغازي ، والملاحم ، والتفسير[4]. قال محققوا أصحابه : يعني أنها في الغالب ليس لها أسانيد صحيحة متصلة . وإلا فقد صح منها كثير ، فإن لم يجده في أقوال الصحابة والتابعين رجع إلىٰ لغة العرب ؛لأن القرآن عربي وقد قال مالك-رضي الله عنه- لا أوتىٰ برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كلام الله إلا جعلته نكالً[5] . فأفاد الجواز للعالم باللغة .

---

[1] نسب ابن جني هذه القراءة لـ ابن عباس وأبي هريرة وعلقمة، وسعيد بن جبير وابن سيرين والحسن وسنان بن سلمة بن المحبق وعمرو بن عبيد والكلبي وأبي صالح وعيسىٰ الهمداني وقتادة والربيع بن أنس وعمرو بن فائد . وهي قراءة شاذة . المحتسب ١/ ٣٦٥

[2] المحتسب لابن جنىٰ١/ ٣٦٧، والفريد للهمزاني٤/ ٥٢، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني١/ ٦٧٧، وغريب القرآن للسجستاني١/ ٣٧٦

[3] هو : الإمام أحمد بن حنبل – صاحب المذهب-

[4] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب ٢/ ٢٢٤ وعقَّب عليه بقوله: وهذا الكلام محمول علىٰ وجه، وهو أن المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها، ولا موثوق بصحتها لسوء أحوال مصنفيها، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات القصَّاص فيها. ونقله عنه السخاوي في خاتمة " المقاصد الحسنة " ٤٨١ والسيوطي في خاتمة " الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة " ،والبرهان للزركشي٢/ ١٥٦

[5] نَكَّلَ به تَنْكيلاً، إذا جعله نَكالاً وعِبْرَةً لغيرِهِ. الصحاح للجوهري ، مادة (نكل) والأثر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن مالك بن أنس ، فصل: فِي تَرْكِ التَّفْسِيرِ بِالظَّنِّ ،رقم(٢٠٩٠) ٣/ ٥٤٣

وأما ما نقل عن أحدٍ من كراهةٍ بالتفسير بمقتضىٰ اللغة، وعن بعضهم في منع الاستشهاد عليه بالشعر فمحمول علىٰ إخراج الآية عن ظاهرها إلىٰ معانٍ بعيدةٍ لا توجد غالبًا إلا في الشعراء ، ونادر من الكلام ويكون المتبادر خلافها ، والتفسير بمقتضىٰ اللغة يتوقف علىٰ أمور لابد منها .

كـ : متن اللغة المبين مدلولات الألفاظ ، والنحو لتغيير المعنىٰ بتغيير الإعراب ، والصرف لتعرف بنية الكلم وصيغها .

قال الزمخشري[1] : من بِدَعِ التفسير من قال في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[2] أن الناس في الآخرة يدعون بأمهاتهم لا بآبائهم مراعاة لعيسىٰ- عليه السلام - ، وإظهارًا لفضل الحسن والحسين ، وسترًا علىٰ أولاد الزنا . وهذا غلط فاحش أوجبه الجهل بالتصريف ؛ لأن الأم لا تجمع علىٰ إمام ، وإنما الإمام هنا بمعنىٰ من يؤتم به من نبي أو مقدم في الدنيا ،فيقال: يا أتباع فلان ، وقيل: بكتاب أعمالهم .فيقال: يا أهل كتاب الخير ، أو الشر ، وقرأ الحسن: بِكِتَابِهِم .[3]

---

[1] هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين، والتفسير ، واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرىٰ خوارزم) سنة: ٤٦٧ه ،وسافر إلىٰ مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلىٰ الجرجانية (من قرىٰ خوارزم) فتوفي فيها سنة٥٣٨ه . – صاحب الكشاف-ينظر: بغية الوعاة للسيوطي ٢/ ٢٧٩، والأعلام للزركلي٧/ ١٧٨

[2] سورة الإسراء١٧/ ٧١

[3] الكشاف للزمخشري ٢/ ٦٨٢،وقال أحمد: ولقد استبدع بدعا لفظا ومعنىٰ ، فإن جمع الأم المعروف أمهات ، أما رعاية عيسىٰ عليه السلام بذكر أمهات الخلائق ليذكر بأمه ، فيستدعىٰ أن خلق عيسىٰ من غير أب غميزة في منصبه ، وذلك عكس الحقيقة ، فان خلقه من غير أب كان آية له ، وشرفا في حقه ، واللّه أعلم.

ومنها : علم القراءات [1]؛ لبيان كيفية النطق بوجوه القرآن ، وبها يرجح بعض المعاني المحتملة علىٰ بعض.

وعلوم البلاغة الثلاثة: المعاني ، والبيان ، والبديع وهي: أعظم أركان التفسير ؛ لأن إعجازه إنما يعرف بها.

ومنها : علم أسباب النزول[2] والقصص؛ ليعلم معنىٰ الآية بحسب ما نزلت به .

وعلم الناسخ والمنسوخ[3] ؛ ليعلم المحكم من غيره .

وعلم أصول الدين المبين للواجب والجائز والمستحيل[4] ؛ ليؤول الآيات الموهمة ما لا يجوز.

---

[1] القراءات جمع قراءة: وهي في اللغة: مصدر سماعي لقرأ.

وعرفها ابن الجزري بأنها: العلم بكيفية أداء الكلمة القرآنية اتفاقًا واختلافا معزواً لنا قليه

[2] سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه ، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه.

والمعني أن حادثة وقعت في زمن النبي -ﷺ- أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية ، أو الآيات من الله -تعالىٰ- ببيان ما يتصل بتلك الحادث ، أو بجوانب هذا السؤال .مناهل العرفان للزرقاني١/ ٧

[3] الناسخ والمنسوخ هو: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متراخ عنه [3]

ومعني رفع الحكم الشرعي : قطع تعلقه بأفعال المكلفين لا رفعه هو، فإنه أمر واقع ، والواقع لا يرتفع.

نواسخ القرآن لابن الجوزي١/ ١٣٣،

(٤) المقصود به علم التوحيد وهو بيان ما يجب لله وما يجوز في حقه وما يستحيل.

وأصول الفقه [1]؛ لبيان كيفية الاستدلال واستنباط الأحكام. وبه يعرف الظاهر، والمجمل[2] ، والعام [3]وغيرها مما يحتاج إليه المفسر علىٰ الموهبة الذي دعا به النبي -ﷺ- لابن عباس بقوله(**اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**)[4]، وليس لك أن تقول هذا العلم ليس في قدرة الإنسان تحصيله ؛ لأن طريقه التزام حدود الشرع في العلم والعمل كما يشهد به حديث (**مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)[5].

قال الزركشي في البرهان: اعلم أنه لا يفهم معاني القرآن ، ولا تظهر أسراره لمن في قلبه بدعة ، أو كبر ،أو هوىٰ ، أو حب الدنيا ، أو الإصرار علىٰ ذنب ، أو

---

(١) هو: العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلىٰ مسائل الفقه.

انظر:التوضيح في حل غوامض التنقيح للحنفي١/ ٤٠

(٢) أورده الكلاباذي في بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار رقم (١٠٠)١/ ١٠٠

(٣) الْعَامُّ لَفْظٌ يَسْتَغْرِقُ الصَّالِحَ لَهُ مِنْ غَيْرِ حَصْرٍ وَصِيغَتُهُ"كُلٌّ" مُبْتَدَأَةٌ نَحْوَ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أَوْ تَابِعَةٌ نَحْوَ:: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ والذي وَالَّتِي وَتَثْنِيَتُهُمَا وَجَمْعُهُمَا نَحْوَ: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ كُلُّ مَنْ صَدَرَ مِنْهُ هَذَا الْقَوْلُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ بَعْدَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ﴿لَذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾ ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ الْآيَةَ: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا﴾ الآية: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾

ينظر: الإتقان للسيوطي٣/ ٤٨

(٤) رواه أحمد في مسنده رقم (٢٣٩٧) ١/ ٢٦٦،والحاكم في المستدرك رقم (٦٢٨٠) ٣/ ٥٣٤وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

(٥) أورده الكلاباذي في بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار رقم(١٠٠)١/ ١٠

نحو ذلك فهذه كلها حجب وموانع[1] قال -تعالىٰ- ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[2]، قال ابن عيينة [3]معناه: أنزع عنهم فهم القرآن [4]فهذه مآخذ التفسير وأصوله ، وليس لأحد أن يقدم عليه بمجرد الرأي والاجتهاد بلا أصل يعتمد عليه قال -تعالىٰ- **(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)**[5] وقال -ﷺ- **(مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)**[6] .

---

(١) البرهان للزركشي٢/ ١٨١،وانظر: الإتقان للسيوطي٢/ ٤٨٠،والتفسير والمفسرون للذهبي١/ ٤٥

(٢) سورة الأعراف ٧/ ١٤٦

(٣) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدث الحرم المكي. من الموالي. ولد بالكوفة١٠٧هـ، وسكن مكة وتوفي بها١٩٨ هـ. كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. وكان أعور. وحج سبعين سنة.سير أعلام النبلاء للذهبي٨/ ٤٥٤ ، والأعلام للزركلي٢/ ١٠٥

(٤) جامع البيان للطبري١٣/ ١١٢، والدر المنثور للسيوطي٦/ ٥٩١، وتفسير ابن أبي حاتم ، وفتح القدير للشوكاني٣/ ٩٣

(٥) سورة الإسراء ١٧/ ٣٦

(٦) أخرجه الترمذي في سننه عن ابن عباس ، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله - صلىٰ الله عليه و سلم-باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه رقم(٢٩٥٠)٥/ ١٩٩وقال :حديث حسن صحيح، ولكن ضعفه الألباني

وروىٰ أبو داود ،وغيره (**مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**)[1] أي: إذا كان رأيًا بلا دليل يعتمد عليه فتكون إصابته اتفاقية لا عبرة بها كالصلاة مع الجهل بكيفيتها [٥ب] باطلة وإن صادفت الصحة.

أما الرأي المستند إلىٰ دليل فجائز بلا نكير فمنعُ بعض المتورعين من التفسير بالاجتهاد ولو مع البرهان عدول عما تعبّدنا به من النظر في القرآن والاستنباط منه[2] وقد قال – تعالىٰ- :

---

(١) أخرجه أبو داوود في سننه عن جندب،كتاب : العلم،باب: الْكَلاَمِ فِىْ كِتَابِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ رقم (٣٦٥٤)٣/ ٣٥٨، والترمذي في سننه كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله – صلىٰ الله عليه و سلم-باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه رقم (٢٩٥٢) ٥/ ٢٠٠قال أبو عيسىٰ الترمذي: هكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي – صلىٰ الله عليه و سلم- وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم وأما الذي روي عن مجاهد و قتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم ،وقد روي عنهم ما يدل علىٰ ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم ،حدثنا الحسين بن مهدي البصري أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيء

حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان بن عيينة عن الأعمش قال : قال مجاهد : لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج إلىٰ أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت ، قال الشيخ الألباني : صحيح الإسناد مقطوع (يعني أثر قتادة وأثر مجاهد كليهما أما الحديث المرفوع فقد قال : ضعيف)

(٢) اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي التَفْسِيرِ بالرَأْيِ بَيْنَ مُؤَيِدٍ ، وَمُعَارِضٍ ، وَمُجَوِزٍ، وَمَانِعٍ، فَمِنْهُم مَنْ أَجَازَهُ ، وَمِنْهُم مَنْ مَنَعَهُ ،وَمِنْهُم أَيَّدَهُ ، وَمنهم من عَارَضَ ، وَكُلٌ يُؤَيِدُ رَأْيَهُ بِالدَّلِيلِ النَقْلِيِّ ، والعَقْلِيِّ.

وَفِيمَا يَلِي أَدِلَّةُ الَمانِعِينَ، وَأَدِلَّةُ المُؤَيِدِينَ مَعَ التَرْجِيحِ وَالمُخْتَارِ.

ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَىٰ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَاطَىٰ تَفْسِيرُ شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ ، وَإِنْ كَانَ عَالِمًا، أَدِيبًا ، مُتَسِعًا فِي مَعْرِفَةِ الأَدِلَّةِ والفِقْهِ والنَحْوِ والآثَارِ وَلَيْسَ لَهُ إِلَا أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَي مَا رُوِيَ عَنْ النَبِيِّ -ﷺ- فَي ذَلِكَ

١- قَالُوا بِأَنَّ تَفْسِيرَ القُرْآنِ بالرَأْيِ قَوْلٌ عَلىٰ الله -ﷻ-بِغَيْرِ عِلْمٍ، والقَوْلُ عَلَي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ مَنْهِيٍ عَنْهُ، بِقَوْلِهِ -ﷻ- ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾الأعراف ٧/ ٣٣

فَهَذَا يَدُلُ عَلَي أَنَّ التَفْسِيرَ بِالرَأْيِ مَنْهِيٌ عَنْهُ ؛ بَلْ هُوَ دَاخِلٌ فِي إِطَارِ مَا حَرَمَهُ اللهُ - ﷻ- .

٢- قَالُوا بِأَنَّ اللهَ-ﷻ - خَاطَبَ نَبِيْهُ -ﷺ- بِقَوْلِهِ- تَعَالَىٰ-: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾النحل ١٦/ ٤٤

فَهَذِهِ الآيَةُ أَفَادَتْ حَصْرَ البَيَانِ فِي رَسُولِ اللهِ - ﷺ - ، وَعَلَي هَذَا لَيْسَ مِنْ حَقِ أَحَدٍ أَنْ يُبَيِنَهُ بَعْدَهُ.

٣- وَرَدَتْ أَحَادِيثٌ عَنِ النَبِيِّ -ﷺ- تُفِيدُ المَنْعَ مِنْهَا.

أ-مَا رَوَاهُ التِرْمِذِيُّ عَنْ اِبْنِ عَبَاسٍ عَنِ النَبِيِّ-ﷺ- قَالَ: (اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّيْ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وَمَنْ قَالَ فِيْ الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)

ب- وَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ جُنْدُبٍ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ -ﷺ-:"مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ"

مَا وَرَدَ أَنَ بَعْضَ السَلَفِ مِنَ الصَحَابَةِ ، وَالتَابِعِينَ كَانُوا يَتَحَرَجُونَ مِنَ القَوْلِ فِي القُرْآنِ بِآرَائِهِم مِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ أَبَي مليكة[٢] قال: سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ الصِدِيقُ - ﷺ- عَنْ تَفْسِيرِ حَرْفٍ مِنَ القُرْآنِ فَقَالَ: " أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ بِرَأْيِ، وَمِنْهُ مَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بنَ المُسَيِبِ - ﷺ-أَنَّهُ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ آيَةٍ مِنَ القُرْآنِ قَالَ: "أَنَا لَا أَقُوْلُ فِي القُرْآنِ شَيْئًا"

وروي عن الشعبي أنه قال: ثَلاَثٌ لاَ أَقُولُ فِيهِنَّ حَتَّىٰ أَمُوتَ : الْقُرْآنُ ،وَالرُّوحُ ، وَالرَّأْيُ. إلي غير ذلك من الأقوال التي تفيد أنهم كانوا يتحرجون من القول في تأويل آيات الله"جامع البيان للطبري ١/ ٨١

ثانيًا: أدلة المجوزين لتفسير القرآن بالرأي: وذهب قوم إلي جواز تفسير القرآن بالرأي، وذلك إذا توافرت فيه الشروط التي لابد منها فيمن يفسر القرآن الكريم.

أ- قوله تعالىٰ: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص ٣٨/ [٣٩]

ب- قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلا ﴾النساء٤/ ٨٤

ج قوله تعالىٰ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾سورة محمد-ﷺ- ٤٧/ ٢٤

فهذه آيات في كتاب الله-تعالىٰ- تحث المسلمين علىٰ تدبر آياته ، وإعمال عقولهم ، ورجوعهم في كل ما يختلفون فيه إلي هؤلاء الذين يقومون بتأويل آيات الله لاستنباط ما فيها بقدر طاقاتهم.

واستثناءً لما تقدم من الآيات التي تفيد الجواز ، فقد ورد أن الصحابة -ﷺ-كانوا يفسرون القرآن ، ويعملون عقولهم بعد رجوعهم لما سمعوه من رسول الله ﷺ-الذي بين لهم بعض القرآن ، ولم يبين لهم كله ، فحاولوا تفسير آيات الله كل حسب طاقته ، وما أعطاه الله من موهبة في هذا الصدد.

وأيضًا دعاء النبي -ﷺ- لابن عباس- ﷺ- " اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ" فلو كان التأويل مقصورًا علي السماع فأي معني لدعاء رسول الله -ﷺ- ومن المعلوم أن التأويل خلاف النقل ، إذًا هو التفسير بالاجتهاد والرأي.

ثالثًا: الدليل العقلي علي جواز التفسير بالرأي:

﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[1] وقاله الماوردي[2].

"لو كان التفسير بالرأي غير جائز لتعطل كثير من الأحكام ، واللازم باطل ذلك أن النبي -ﷺ- لم يذكر تفسير كل آية ، والمجتهد مأجور وإن أخطأ ما دام قد استفرغ وسعه ، ولم يهمل الوسائل الواجبة في الاجتهاد وكان غرضه الوصول إلي الحق والصواب"

هذا ما ذهب إليه الفريقان وكل منهما نقيض صاحبه بصدد هذه المسألة المهمة والخطيرة؛ وذلك لأنها تتعلق بأشرف عمل يقوم به الإنسان ، وهو تفسير كتاب الله-تعالىٰ-.

وأرىٰ أن هذا الخلاف يكاد يكون لفظيًا ، وذلك أن يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي علي هذا التفسير المقبول الذي استوفي جميع الشروط حتىٰ وصل إلي درجة القبول ، وفي الوقت نفسه يحمل كلام المانعين للتفسير بالرأي علي هذا التفسير الذي فقد بعض شروطه. ينظر: الإتقان للسيوطي ٢/ ١٨٠، والتفسير والمفسرون للذهبي١/ ٢٤،ونشأة التفسير د/ محمود بسيوني فودة ص١٦١ بتصرف

(١) سورة النساء٤/ ٨٣

(٢) قال الماوردي في النكت والعيون ١/ ٣٣، في حديث جندب :" من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " فتمسك فيه بعض المتورعة ممن قلت في العلم طبقته،وضعفت فيه خبرته ، واستعمل هذا الحديث علىٰ ظاهرهن وامتنع أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ، عند وضوح شواهده ، إلا أن يرد بها نقل صحيح ، ويدل عليها نص صريح ، وهذا عدول عما تعبّد الله تعالىٰ به خلقه في خطابهم بلسان عربي مبين ، قد نبه علىٰ معانيه ما صرح من اللغز والتعمية ، التي لا يوقف عليها إلا بالمواضعة إلىٰ كلام حكيم ، أبَان عن مراده ، وقطع أعذار عباده ، وجعل لهم سبلا إلىٰ استنباط أحكامه كما قال الله – تعالىٰ- : " لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ" (ولو كان ما قالوه صحيحًا ، لكان كلام الله غير مفهوم ، ومراده بخطابه غير معلوم ، ولصار كاللغز المعمَّىٰ ، فبطل الاحتجاج به ، وكان ورود النص علىٰ تأويله ، مغنيًا عن الاحتجاج بتنزيله ، وأعوذ بالله من قول في القرآن يؤدي إلىٰ التوقف عنه ، ويؤول إلىٰ ترك الاحتجاج به .

والحاصل أن علوم القرآن ثلاثة أقسام .

قسم : استأثر الله – تعالي – به من معرفة كنه ذاته وحقائق أسمائه وعلوم غيوبه التي لا يعلمها إلا هو فلا يجوز لأحد الخوض فيه بوجه من الوجوه إجماعًا،

الثاني : ما أطلع عليه نبيه من أسرار كتابه واختصه به فلا يجوز الكلام فيه إلا له –ﷺ– أو لمن أذن له قبل ، وأوائل السور من هذا القسم وقيل: من الأول،

الثالث: ما علمه الله لنبيه من معاني كتابه الجلية والخفية وأمره بتعليمها.

ولهذا الحديث – إن صح – تأويل معناه : أن من حمل القرآن علىٰ رأيه ،ولم يعلم علىٰ شواهد ألفاظه ، فأصاب الحق ، فقد أخطأ الدليل

وقد روىٰ محمد بن عثمان ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال :

قال رسول الله –ﷺ– : "الْقُرْآنُ ذَلُولٌ ذُو وُجُوهٍ فَاحْمِلُوهُ عَلَىٰ أَحْسَنِ وُجُوهِهِ" أورده الدارقطني في سننه ،كتاب: النوادر،(٤٣٢١) وفي قوله : " ذَلُولٌ " تأويلان :

أحدهما : أنه مطيع لحامليه ، حتىٰ تنطلق فيه جميع الألسنة .

والثاني : أنه موضع لمعانيه ، حتىٰ لا تقصر عنه أفهام المجتهدين فيه

وفي قوله : " ذُو وُجُوهٍ " تأويلان :

أحدهما : أن ألفاظه تحمل من التأويل وجوها لإعجازه .

الثاني : أنه قد جمع من الأوامر ، والنواهي ، والترغيب ، والتحليل ،والتحريم .

وفي قوله : " فَاحْمِلُوهُ عَلَىٰ أَحْسَنِ وُجُوهِهِ " تأويلان :

أحدهما : أن تحمل تأويله علىٰ أحسن معانيه .

والثاني : أن يعمل بأحسن ما فيه ، من العزائم دون الرخص ، والعفو دون الانتقام ، وهذا دليل علىٰ أن تأويل القرآن مستنبط منه . النكت والعيون ١/ ٣٦

فـــــ : منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بالسمع . كـــ أسباب النزول ، والنسخ ، وألفاظ القرآن ، والقصص، وأخبار الحوادث الكائنة ، وأمور الحشر والمعاد . ومن ادعىٰ ذلك بغير تلق من السمع فهو كذاب آثم.

ومنه: ما يؤخذ بطريق النظر والاستنباط من فحوىٰ الكلام لمن له أهلية ذلك باتفاق. كـــ : الأحكام الأصلية ، والفرعية ، والإعرابية ، وفنون البلاعة ، وضروب المواعظ ، والحكم ، أو باختلاف. وهو: تأويل الآيات المتشابهات في الصفات .

قال الزركشي: وكأن السبب في اصطلاح كثير علىٰ التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المفعول والمستنبط ليعول علىٰ اعتماد السمع في المنقول وعلىٰ النظر في المستنبط [1]، وأما ما يذكره بعض الصوفية في القرآن من المعاني البعيدة. كـــ : قول بعضهم ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾[2] "من ذل" من الذل "ذي" أي: النفس "يشف" من الشفاء و "ع" من الوعي ، وقول آخر ﴿وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3] ، "مع" فعل ماض بمعنىٰ : أضاء . وأمثال ذلك فإلحاد[4] كما

(١) البرهان ٢/ ١٧٠
(٢) سورة البقرة ٢/ ٢٥٥
(٣) سورة العنكبوت٢٩/ ٦٩
(٤) الإتقان للسيوطي٢/ ٤٨٦

أفتىٰ به البلقيني [1]وقد قال – تعالىٰ- : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾[2] [٦أ] قال ابن عباس – ﷺ : هو أن يوضع الكلام علىٰ غير موضعه[3] .

وقال النسفي في عقائده: العدول عن ظواهر النصوص إلىٰ معان يدعيها أهل الباطن إلحاد [4].

قال: السعد[5] : سموا باطنية ؛ لادعائهم أن النصوص ليست علىٰ ظواهرها؛ بل لها معاني باطنية لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية ، وأما بقاء النصوص علىٰ ظواهرها مما دلت عليه بعرف اللسان ومع

---

(١) عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير، قاضي القضاة جلال الدين أبو الفضل ابن شيخ الإسلام سراج الدين، البلقيني الشافعي.مولده بالقاهرة في جمادىٰ الأولىٰ سنة اثنتين وستين وسبعمائة، ووفاته ٨٢٤ هـ ينظر: شذرات الذهب ٧/ ١٣٣،والأعلام للزركلي٥/ ٤٦

(٢) سورة فصلت ١٤/ ٤٠

(٣) جامع البيان للطبري٢٠/ ٤٤١ ،وذكر ابن الجوزي خمسة أقوال في معنىٰ الإلحاد.فقال: وفي المراد به هاهنا خمسة أقوال

أحدها : أنه وَضْع الكلام علىٰ غير موضعه ، رواه العوفي عن ابن عباس

والثاني : أنه المُكاء والصفير عند تلاوة القرآن ، قاله مجاهد .

والثالث : أنه التكذيب بالآيات ، قاله قتادة .

والرابع : أنه المُعانَدة ، قاله السدي .

والخامس : أنه المَيْل عن الإيمان بالآيات ، قاله مقاتل .

ينظر: تفسير مقاتل ٢/ ٤٨٧، وزاد المسير ٥/ ٣٠٧

(٤) العقائد النسفية وشرحها لسعد الدين التفتازاني ص ١٤٣

(٥) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانىٰ، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد ٧١٢بتفتازان (من بلاد خراسان) وتوفي٧٩٣. الأعلام للزركلي٧/ ٢١٩

ذلك فيها إشارات خفية إلىٰ دقائق تنكشف عند الآية أو الحديث لمن فتح الله قلبه فهو كمال الإيمان ومحض العرفان[1].

قال ابن عطاء الله[2] في لطائف المنن : وليس في ذلك إحالة للنصوص ؛ لأنهم لم يحصروا معناها في ذلك ؛ بل يقرونها علىٰ ظاهرها مرادًا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهمهم وقد جاء في الحديث(لكل آية ظهر وبطن)[3]

قال ابن النقيب[4] : ظاهرها ما ظهر منها لأهل العلم الظاهر ، وباطنها ما تضمنته من الأسرار التي اطلع عليها أهل العرفان.[5]

---

(١) لطائف الإشارات للقشيري١/ ٢٥

(٢) أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عَطَاء الله الإسكندري: متصوف شاذلي، من العلماء. صاحب- لطائف المنن - توفى سنة : ٧٠٩ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي١/ ٢٢١

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلاً ، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ.رقم (٥١٤٩) ٥/ ٨٠،وأحمد في مسنده رقم(٤٢٥٢)١/ ٤٤٥وقال الأرنؤوط : صحيح علىٰ شرط مسلم والكشميري في كتابه فيض الباري شرح البخاري١/ ٢٥. وانظر: تفسير القرآن لابن عربي١/ ١٨، وحاشية الشهاب علىٰ البيضاوي١/ ٤٤

(٤) أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله الرومي، أبو العباس، شهاب الدين ابن النَّقِيب: فقيه شافعيّ مصري مولده ووفاته بالقاهرة كان أبوه روميا من نصارىٰ أنطاكية. رباه أحد الأمراء وأعتقه وجعله نقيبا فتصوف في البيبرسية بالقاهرة. ونشأ ولده صاحب الترجمة فكان أولا بزيّ الجند، ثم حفظ القرآن وتفقه وتأدب وجاور بمكة والمدينة مرات. توفي ٧٦٩ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي١/ ٢٠٠

(٥) التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي لنجم الدين الكبري١/ ٢٠

وقيل : ظاهرها التلاوة ، وباطنها الفهم وهو بمعنىٰ قول أخر ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها .

وقيل: ظاهرها ما حكي عن الأولين من إهلاكهم وعقابهم ، وباطنها تحذير الآخرين من فعلهم لئلا يحل بهم مثلهم .

قال ابن مسعود : في القرآن علم الأولين والآخرين[1] .

---

(١) أورد كل هذه الأقوال الماوردي في تفسيره فقال في قول الرسول – ﷺ–" ما نزل القرآن من آية إلا لها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع" أما قوله : " ما نزل من القرآن من آية إلا لها ظهر وبطن " **ففيه أربعة تأويلات** :

أحدها : معناه أنك إذا فتشت عن باطنها وقسته علىٰ ظاهرها ، وقفت علىٰ معناها ، وهو قول الحسن .

والثاني : يعني أن القصص ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين ، وباطنها عظة للآخرين ، وهذا قول أبي عبيد .

والثالث : معناه ما من آية إلا وقد عمل بها قوم ، ولها قوم سيعملون بها ،وهذا قول ابن مسعود.

والرابع : يعنىٰ أن ظاهرها لفظها ، وباطنها تأويلها ، وهذا قول الجاحظ .

وأما قوله : " ولكل حرف حد " ففيه تأويلان :

أحدهما : معناه أن لكل لفظ منتهىٰ ، فيما أراده الله تعالىٰ من عباده .

والثاني : أن لكل حكم مقدارا من الثواب والعقاب .

وأما قوله : " ولكل حد مطلع " ففيه تأويلان :

أحدهما : معناه ولكل غامض من الأحكام مطلع يوصل منه إلىٰ معرفته ويوقف منه علىٰ المراد به .

والثاني : معناه أن كل ما استحقه من الثواب والعقاب سيطلع عليه في الآخرة ويراه عند المجازاة . النكت والعيون للماوردي ١/ ٤٢

قال بعض العلماء : لكل آية سبعون ألف فهم فهذا يدل علىٰ أن في فهم القرآن مجالًا رحبًا ومتسعًا بالغًا ؛لكن لابد من حفظ التفسير الظاهر أولًا ليتقي به موضع الغلط ولا يطمع في الوصول إلىٰ الباطن قبله ، ومن ادعىٰ فهم أسرار القرآن قبل أحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعىٰ البلوغ إلىٰ صدر البيت قبل مجاوزة الباب(١).

وأما: واضع التفسير فهو الصحابة والتابعون وممن اشتهر بالتفسير من الصحابة الخلفاء الأربع(٢) وابن مسعود(٣) وابن عباس(٤) وأبي بن كعب(١) وزيد بن

(١) ينظر: الذب عن التصوف المسمىٰ لسان الحجة البرهانية للكتاني ١/ ٢٦٣

(٢) أبو بكر ،وعمر،وعثمان ،وعليٍّ – رضي الله عنهم –

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي. من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله –ﷺ– وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلىٰ الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين. مات بالمدينة ودفن بالبقيع س ٣٢ هـ. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير٢/ ١٧١،وسير أعلام النبلاء للذهبي١/ ٤٩٩ ،والأعلام للزركلي٤/ ١٣٧

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل.ولد بمكة.سنة ٣ ق.هـ ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله –ﷺ– وروىٰ عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. له في الصحيحين وغير هما ١٦٦٠ حديثا. قال ابن مسعود: نعم، ترجمان القرآن ابن عباس. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلسا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر. وقال عطاء: كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب، وناس يأتونه لايام العرب ووقائعهم،

ثابت(٢) وغيرهم والمروي عن علي أكثر من باقي الخلفاء ، وعن ابن مسعود أكثر من علي وأما ابن عباس فسماه النبي ترجمان القرآن ودعا له النبي بعلم التأويل كما مر وفي رواية (اللهم علمه الحكمة) وروي أن جبريل قال للنبي – صلَّىٰ الله

وناس يأتونه للفقه والعلم. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير٢/ ١٣٠،وسير أعلام النبلاء للذهبي١/ ٤٩٩ ،والأعلام للزركلي٤/ ٩٥

(١) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار سيد القراء، أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقرئ البدري ويكنىٰ أيضا أبا الطفيل.شهد العقبة، وبدرا، وجمع القرآن في حياة النبي –ﷺ–، وعرض علىٰ النبي، عليه السلام، وحفظ عنه علما مباركا، وكان رأسا في العلم والعمل، رضي الله عنه.حدث عنه بنوه محمد، والطفيل، و عبد الله، وأنس بن مالك، وابن عباس، وسويد بن غفلة، وزر بن حبيش، وأبو العالية الرياحي ، وأبو عثمان النهدي، وسليمان بن صرد، وسهل بن سعد، وأبو إدريس الخولاني، و عبد الله بن الحارث بن نوفل، و عبد الرحمن بن أبزىٰ، و عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ.واختلف في وفاته فقيل: توفي سنة اثنتين وعشرين في خلافة عمر، وقيل: سنة ثلاثين في خلافة عثمان، قال: وهو الصحيح، لأن زر بن حبيش لقيه في خلافة عثمان. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير١/ ٣١،وسير أعلام النبلاء للذهبي١/ ٣٩٦

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ثم النجاري. أمه النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، كنيته: أبو سعيد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو خارجة.توفي سنة ٤٥ هـ وقيل: اثنتان، وقيل: ثلاث وأربعون، وقيل: سنة إحدىٰ وخمسين، وقيل: اثنتان، وقيل: خمس وخمسون، وصلىٰ عليه مروان بن الحكم، ولما توفي قال أبو هريرة اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسىٰ الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً. وهو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما..أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير١/ ٣٩٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي٢/ ٤٢٦

عليم وسلَّم –(أنه كائن حبر هذه الأمة [٦ب] فاستوص به خيرًا)[1] وكان عمر – رضي الله عنه – يقدمه ويدخله مع أشياخ بدر فوجد عليه بعضهم فقال لهم عمر يومًا ما تقولون في ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾[2] فسكت بعضهم، وقال بعضهم . أمرنا بالحمد والاستغفار إذا نصرنا . فقال : أكذلك تقول يا ابن عباس . فقال: لا؛ بل هو أجل رسول الله – صلَّىٰ الله عليم وسلَّم – أعلمه به فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول[3]. وعنه روايات وطرق مختلفة في التفسير من أَجَلِّهَا طريق علي ابن أبي طلحة الخاشمي ، ونسختها كانت بمصر عند أبي صالح كاتب الليث ، وكان البخاري يعتمدها فيما يعلقه عن ابن عباس ، وأما أبي بن كعب فعنده نسخة كبيرة أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرًا وكذا الحاكم في المستدرك وأحمد في تفسيره ، وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير من التفسير كأنس،

---

(١) أورده الأصبهاني في حلية الأولياء ١/ ٣١٦، ومعرفة الصحابة للأصبهاني والبدر العيني في عمدة القاري كتاب: الشهادات.باب: من أمر بإنجاز الوعد

(٢) سورة النصر ١١٠/ ١

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه .كتاب: المغازي،باب: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا،رقم (٤٩٧٠) ٦/ ٢٢٠ونص الحديث كما في البخاري" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ فَدَعَا ذَاتَ يَوْمٍ – فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ – فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلاَّ لِيُرِيَهُمْ قَالَ مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللهَ وَنَسْتَغْفِرُهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا فَقَالَ لِي أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ : لاَ قَالَ فَمَا تَقُولُ قُلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ قَالَ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ ، وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فَقَالَ عُمَرُ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ مَا تَقُولُ.

وأبي هريرة ، وابن عمر ، وجابر ، وأبي موسىٰ الأشعري ، وغيرهم ، وأما التابعين فمن أَجَلِّهِم : مجاهد[1]. قال النووي : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك[2] ، وكان يعتمده الشافعي ، والبخاري وغيرهما ، ومنهم سعيد بن جبير. قال سفيان الثوري [3] : خذوا التفسير عن أربعة (مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك بن مزاحم ، وعكرمة وهو مولىٰ ابن عباس) [4] وكان يضع في رجله الحبل ويعلمه القرآن والسنن ، ومنهم الحسن البصري[5] ، وعطاء بن أبي

(١) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولىٰ بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت ؟ وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها: ذهب إلىٰ " بئر برهوت " بحضرموت، وذهب إلىٰ " بابل " يبحث عن هاروت وماروت. أما كتابه في " التفسير " فيتقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب، يعني النصارىٰ واليهود. ويقال: إنه مات وهو ساجد . سير أعلام النبلاء للذهبي٤/ ٤٥٠ ، والأعلام للزركلي٥/ ٢٧٨،

(٢) أورده الطبري في جامع البيان ١/ ٨٥

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور ن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولد: ٩٧ه ، كان سيد أهل زمانه، توفي سنة:١٦١ ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي٧/ ٢٣٠، والأعلام للزركلي٣/ ١٠٤

(٤) تفسير الثوري١/ ١٤

(٥) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولىٰ زيد بن ثابت الأنصاري ويقال مولىٰ أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، قاله عبد السلام ابن مطهر، عن غاضرة بن قرهد العوفي،

رباح[1]، ومحمد بن كعب القرظي[2] ، وغيرهم فهؤلاء قدماء المفسرين وغالب أقوالهم تلقوها من الصحابة ثم بعد هذه الطائفة ألفت تفاسير تجمع فيها أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة[3] ، ووكيع بن الجراح ،[4] وعبد

ثم قال: وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، ويقال: كان مولىٰ جميل بن قطبة .ويسار أبوه من سبي ميسان . سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٤

(١) عطاء بن أبي رباح أسلم، الإمام شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم المكي، يقال: ولاؤه لبني جمح، كان من مولدي الجند، ونشأ بمكة، ولد في أثناء خلافة عثمان.حدث عن عائشة، وأم سلمة، وأم هانئ، وأبي هريرة، وابن عباس، وحكيم بن حزام، ورافع بن خديج، وزيد بن أرقم، وزيد بن خالد الجهني، وصفوان بن أمية، وابن الزبير، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، وجابر ومعاوية، وأبي سعيد، وعدة من الصحابة توفي ١١٥ هـ عن عمر ٨٨عامًا . سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٨

(٢) محمد بن كعب بن حيان بن سليم، الإمام العلامة الصادق أبو حمزة، وقيل: أبو عد الله القرظي المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة،توفي١٠٨عن عمر ٧٨سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي٥/ ٦٦،والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر٦/ ٣٤٥

(٣) سبقت ترجمته

(٤) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان: حافظ للحديث، ثبت، كان محدث العراق في عصره. ولد بالكوفة١٢٩ هـ، وأبوه ناظر علىٰ بيت المال فيها. وتفقه وحفظ الحديث، واشتهر.وأورد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة، فامتنع ورعا. وكان يصوم الدهر. له كتب، منها " تفسير القرآن " و " السنن " و " المعرفة والتاريخ " .قال الإمام ابن حنبل: ما رأيت أحد أوعىٰ منه ولا أحفظ، وكيع إمام المسلمين.توفي ١٩٧ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي٨/ ١١٧

الرزاق[1] ، وإسحاق بن راهوية [2] ، وغيرهم وبعدهم ابن جرير الطبري ، وابن أبي حاتم، وابن ماجه ، والحاكم ، وابن المنذر وآخرين وكلها مسندة إلىٰ الصحابة والتابعين وأتباعهم وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها والاستنباط فهو يفوقها بذلك ، ومن ثم قيل: إن كتابه أجل التفاسير وأعظمها وأجمع العلماء المعتبرون علىٰ أنه لم يؤلف في التفسير مثله[3] وكذا قال النووي مثله في التهذيب ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال منثورة فدخل [٧أ] فيه الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ثم صار كل من سنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمده فيحكيه من بعدهم أقوامًا[4] ظانًّا أن لها أصلًا حتىٰ حكي في تفسير ﴿غَيرِ

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع، الحافظ الكبير، عالم اليمن، أبو بكر الحميري،مولاهم الصنعاني الثقة الشيعي. ارتحل إلىٰ الحجاز، والشام، والعراق، وسافر في تجارة. من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. كان يحفظ نحوا من سبعة عشر ألف حديث.ولد سنة ١٢٦ هـ،وتوفىٰ ٢١١ هـ.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظليّ التميمي المروزي، أبو يعقوب ابن راهويه: عالم خراسان في عصره.ولد ١٦١ه، من سكان مرو قاعدة خراسان وهو أحد كبار الحفاظ. طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد ابن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم. وقيل في سبب تلقيبه (ابن راهويه) أن أباه ولد في طريق مكة فقال أهل مرو: راهويه! أي ولد في الطريق. وكان إسحاق ثقة في الحديث، قال الدرامي: ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقة. وتوفىٰ ٢٣٨ه ينظر: الأعلام للزركلي١/ ٢٩٢

(٣) الإتقان للسيوطي ٢/ ٥٠١

(٤) الإتقان للسيوطي ٢/ ٥٠٠

المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[1] نحو عشرة أقوال مع أن الوارد عن النبي – صلَّىٰ الله عليم وسلَّم – وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم تفسيرهم باليهود والنصارىٰ[2] .حتىٰ قال ابن أبي حاتم: لا أعرف في ذلك خلافًا [3] ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم فكل منهم يقتصر في تفسيره علىٰ الفن الذي برع فيه. فالنحوي لا هم له إلا نقل قواعد النحو وفروعه وخلافاته كالزجاج [4]، والواحدي[5] ، وأبي حيان في النهر[6]. والإخباري لا شغل له إلا القصص ،

---

(١) سورة الفاتحة ١/ ٧

(٢) ينظر: الدر المنثور للسيوطي١/ ٨٤، والجامع للقرطبي١/ ١٤٩، ومعالم التنزي للبغوي١/ ٥٥،والنكت والعيون للماوردي١/ ٦٠ ،ونص الحديث المروي عن النبي – ﷺ–

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣١

(٤) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد سنة: ٢٤١ه، ومات في بغداد سنة: ٣١١ه. – له معاني القرآن –

ينظر: إنباء الرواة للقفطي١/ ١٥٩، والأعلام للزركلي١/ ٤٠

(٥) علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتُّوية، أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. كان من أولاد التجار أصله من ساوة (بين الريّ وهمذان) ومولده ووفاته بنيسابور. سنة:٤٦٨ه – له: البسيط، والوسيط، والوجيز – كلها في التفسير. ينظر: الوافي بالوفيات١/ ٣٣٣، والأعلام للزركلي٤/ ٢٥٥

(٦) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدىٰ جهات غرناطة سنة: ٦٥٤ه ، ورحل إلىٰ مالقة. وتنقل إلىٰ أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها، بعد أن كف بصره.سنة:٧٤٥ه ، له: البحر المحيط، والنهر مختصر تفسير البحر، وغيرهما. ينظر: بغية الوعاة للسيوطي١/ ١٢١، والأعلام ٧/ ١٥٢

وأخبار من سلف صحيحة أو باطلة كالثعلبي[1]، والفقيه يسرد الفقه من باب الطهارة إلىٰ أمهات الأولاد ويذكر أدلة الفروع الفقهية والجواب عن أدلة المخالفين كالقرطبي[2] ، وصاحب العلوم العقلية كالإمام الرازي[3] قد ملأ تفسيره بأقوال الفلاسفة وشبهها وخرج من شيء إلىٰ شيء فيقضي النظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية.حتىٰ قال بعض العلماء : في كتابه كل شيء إلا التفسير[4] ، والمبتدع يحرف الآيات علىٰ مذهبه الفاسد ويدرس فيها الدسائس الخفية لترويج مذهبه كقول الزمخشري في(فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)[5] وأي فوز أعظم من دخول الجنة يشير بذلك إلىٰ نفي الرؤية والمبتدع لا تسأل عن كفره وإلحاده[6]

وفقنا الله إلىٰ ما يرتضيه منا بمنه وكرمه.

(١) الكشف والبيان للثعلبي، أحمد أبو إسحاق الثعلبي،ط/ دار إحياء التراث العربي،تحقيق/ علي بن عاشور،ونظير الساعدي

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفىٰ سنة ٦٧١ هـ.

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لشيخ الإسلام فخر الدين الرازي المتوفىٰ ٥٤٤ هـ

(٤) أورده أبو حيان في تفسيره ولم يعجبه ؛ بل اتهم من قال هذا بالتطرف فقال: فإنه جمع في كتابه في التفسير أشياء كثيرة طويلة ، لا حاجة بها في علم التفسير. ولذلك حكي عن بعض المتطرفين من العلماء أنه قال : فيه كل شيء إلا التفسير.البحر المحيط١/ ٥٤٨، والإتقان للسيوطي٢/ ٥٠١

(٥) سورة آل عمران ٣/ ١٨٥

(٦) انظر:الكشاف للزمخشري ١/ ٤٩٩

فصل

في كيفية إنزال القرآن وفيه ثلاث مسائل

الأولى: في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ الذي هو الذكر ، وأم الكتاب وفيه ثلاثة أقوال.

أصحها وأشهرها : أنه نزل في ليلة القدر في شهر رمضان جملة واحدة من اللوح إلىٰ سماء الدنيا فوضع في بيت العزة [1] ثم نزل به جبريل علىٰ النبي – صلَّىٰ الله عليم وسلَّم – منجمًا بحسب الوقائع والأحوال وجواب الأسئلة والأمثال في عشرين سنة أو ثلاثة وعشرين أو خمسة وعشرين علىٰ الخلاف في مدة إقامته بمكة بعد البعثة هل هي عشر سنين أو ثلاثة عشر سنة [٧ب] أو خمس عشرة سنة،[2] وأما إقامته بالمدينة فعشر سنين اتفاقًا[3] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي١/ ٢٢٨

(٢) الإتقان للسيوطي١/ ١١٧

(٣) اختلف في مدة إقامة النبي – ﷺ- بمكة بين عشر سنوات أم ثلاثة عشر عامًا ، أم خمسة وعشرين عامًا.

فابن عباس يقول : إن مدة الرسول في مكة بضع عشرة سنة فيما رواه أبو زرعة في تاريخه فيقول: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار قال: قلت لعروة: إن ابن عباس يزعم أن النبي –ﷺ – أقام بمكة بضع عشرة سنة، فأنكره وقال: إنما أخذ بقول الشاعر.وفي رواية قلت لعروة: كم لبث –ﷺ- بمكة ؟ قال: عشراً. قلت: فإن ابن عباس يقول: بضع عشرة سنة. قال: إنما أخذه من قول الشاعر. قيس بن صرمة الأنصاري.

ثَوَىٰ فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجّةً . يُذَكّرُ لَوْ يَلْقَىٰ صَدِيقًا مُوَاتِيَا

وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا

فَلَمّا أَتَانَا أَظْهَرَ اللّهُ دِينَهُ فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطِيبَةَ رَاضِيًا

القول الثاني: أنه نزل إلىٰ سماء الدنيا في عشرين ليلة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين فنزل في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في تلك السنة ثم ينزل به جبريل مفرقًا في جميع السنة ذكره الفَخْرُ احتمالًا [1]ونقله القرطبي عن مقاتل[1]،وقال به الحليمي[2] ، والماوردي.[3]

السيرة الحلبية للحلبي٢/ ٣٤٣، وسبل الهدىٰ والرشاد للشامي٤/ ٣، ومختصر زاد الميعاد للتميمي١/ ٢٢٣، ومختصر سيرة الرسول لابن عبد الوهاب١/ ٧٨، والكامل في التاريخ لابن الأثير١/ ٣٥٩، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي١/ ١

وقيل : مكث النبي عشر سنين في مكة ومثلها في المدينة عن مالك عن أنس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ علىٰ رأس أربعين، فأقام بمكة عشراً، وبالمدينة عشراً. وعن ابن عباس وعائشة: أن رسول الله ﷺ، مكث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشراً. تاريخ أبي زرعة الدمشقي١/ ١

(١) ذكر الرازي كلامًا طويلا وجيها في هذا فقال: قوله تعالىٰ : أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ في تفسيره قولان الأول : وهو اختيار الجمهور : أن اللّه تعالىٰ أنزل القرآن في رمضان، عن النبي -ﷺ- «نزل صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والإنجيل لثلاث عشر والقرآن لأربع وعشرين»

وهاهنا سؤالات :

السؤال الأول : أن القرآن ما نزل علىٰ محمد - عليه الصلاة والسلام - دفعة ، وإنما نزل عليه في مدة ثلاث وعشرين سنة منجما مبعضا ، وكما نزل بعضه في رمضان نزل بعضه في سائر الشهور ، فما معنىٰ تخصيص إنزاله برمضان.

والجواب عنه من وجهين

الأول : أن القرآن أنزل في ليلة القدر جملة إلىٰ سماء الدنيا ، ثم نزل إلىٰ الأرض نجوما ، وإنما جرت الحال علىٰ هذا الوجه لما علمه تعالىٰ من المصلحة علىٰ هذا الوجه فإنه لا يبعد أن يكون للملائكة الذين هم سكان سماء الدنيا مصلحة في إنزال ذلك إليهم أو كان في المعلوم أن في ذلك مصلحة للرسول عليه السلام في توقع الوحي من أقرب الجهات ، أو كان فيه مصلحة لجبريل عليه السلام ، لأنه كان هو المأمور بإنزاله وتأديته.

الجواب الثاني عن هذا السؤال : أن المراد منه أنه ابتدئ إنزاله ليلة القدر من شهر رمضان وهو قول محمد بن إسحاق وذلك لأن مبادئ الملل والدول هي التي يؤرخ بها لكونها أشرف الأوقات ولأنها أيضا أوقات مضبوطة معلومة.

واعلم أن الجواب الأول لا يحتاج فيه إلىٰ تحمل شيء من المجاز وهاهنا يحتاج فإنه لا بد علىٰ هذا الجواب من حمل القرآن علىٰ بعض أجزائه وأقسامه.

السؤال الثاني : كيف الجمع بين هذه الآية علىٰ هذا القول ، وبين قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] وبين قوله : ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ ﴾ [الدخان : ٣].

والجواب : روي أن ابن عمر استدل بهذه الآية وبقوله : إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ أن ليلة القدر لا بد وأن تكون في رمضان ، وذلك لأن ليلة القدر إذا كانت في رمضان كان إنزاله في ليلة القدر إنزالا له في رمضان ، وهذا كمن يقول : لقيت فلانا في هذا الشهر فيقال له. في أي يوم منه فيقول يوم كذا فيكون ذلك تفسيرا للكلام الأول فكذا هاهنا.

السؤال الثالث : أن القرآن علىٰ هذا القول يحتمل أن يقال : إن اللّه – تعالىٰ – أنزل كل القرآن من اللوح المحفوظ إلىٰ السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزله إلىٰ محمد -ﷺ- منجمًا إلىٰ آخر عمره ، ويحتمل أيضا أن يقال :

إنه سبحانه كان ينزل من اللوح المحفوظ إلىٰ السماء الدنيا من القرآن ما يعلم أن محمدا عليه السلام وأمته يحتاجون إليه في تلك السنة ثم ينزله علىٰ الرسول علىٰ قدر الحاجة ثم كذلك أبدا ما دام فأيهما أقرب إلىٰ الصواب.

الجواب : كلاهما محتمل ، وذلك؛لأن قوله : "شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ " يحتمل أن يكون المراد منه الشخص ، وهو رمضان معين ، وأن يكون المراد منه النوع ، وإذا كان كل واحد منهما محتملا صالحا وجب التوقف. ينظر: مفاتيح الغيب ٥/ ٢٥٣

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٢٠١، والجامع للقرطبي١٦/ ١٢٧

(٢) محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الحليمي، ولد: ٤٨٤، ويقال ابن حليم، العراقي، أبو المظفر: واعظ من فقهاء الحنفية. نشأ ببغداد، وسكن دمشق فبنيت له مدرسة فيها، وأقبل عليه الناس. وتوفي بها.٥٦٧ه. ينظر: الأعلام للزركلي٦/ ٣١

(٣) النكت والعيون للماوردي ١/ ٢٤٠

القول الثالث: أن ابتداء نزوله ليلة القدر من اللوح المحفوظ[1] ثم نُجِّم بعد ذلك في جميع المدة السابقة، قال الحافظ بن حجر[2] : والأول هو الصحيح المعتمد[3] ؛بل حكىٰ بعضهم الإجماع عليه فإن قلت قوله –تعالىٰ– (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[4] إن لم يكن مما نزل جملة واحدة فلم ينزل القرآن جملة وإن كان منه فما وجه صحة هذه العبارة أجيب بأن المعنىٰ حكمنا بإنزاله وقدرناه في الأزل أو أن الماضي بمعنىٰ المستقبل[5].

والحكمة في إنزاله جملة واحدة إلىٰ سماء الدنيا: تفخيم أمره ، وأمر من نزل عليه بإعلام سكان السماوات السبع بأن هذا آخر الكتب المنزلة علىٰ خاتم الرسل لأشرف الأمم، ففيه تكريم بني آدم ، وإظهار شأنهم عند الملائكة ؛ولهذا المعنىٰ أمر سبعون ألف ملك بتشييع سورة الأنعام[6] فقد سوىٰ بينه وبين الأنبياء

---

(١) الإتقان للسيوطي ١/ ١٢٦، والناسخ والمنسوخ لمرعي بن يوسف ١/ ٢٤٣

(٢) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده سنة: ٧٧٣ه، ووفاته بالقاهرة سنة :٨٥٢ه. له (فتح الباري شرح صحيح البخاري).

ينظر: البدر الطلع ١/ ٨٧، والأعلام ١/ ١٧٩

(٣) أورده السيوطي في الإتقان ١/ ١٢٦

(٤) سورة القدر٩٧/ ١

(٥) الإتقان للسيوطي ١/ ١٢٠ ونسبه لأبي شامة ،وروح المعاني للألوسي١٥/ ٤١٣

(٦) روايتان في تشييعها بالملائكة

١- أخرج الطبراني في الكبير رقم(١٢٧٥٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:نَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْعَامِ جُمْلَةً بِمَكَّةَ لَيْلا وَحَوْلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَ بِالتَّسْبِيحِ.

بإنزال كتابه جملة مثل كتبهم، وزاده تفضيلًا بتفريقه عليه؛ ليثبت به فؤاده كما أجاب الله – تعالىٰ – له قول الكفار﴿لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[1] أي: كما أنزلت الكتب السابقة فقد قال – تعالىٰ- :﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ ، الآية قيل معناه لنحفظ ؛ لأنه كان أميًّا فَفُرِّقَ عليه ليثبت عنده حفظه وغيره من الأنبياء كان كاتبًا قارئًا [2].

وقيل معناه: لنقوّي به قلبك ؛ لأن تجدد الوحي في كل حادثة أقوىٰ للقلب وأشد عناية فيحدث له من السرور بلقاء الـمَلَكِ الوارد له من ذلك الجناب ما تقصر عنه العبارة ، ولذلك كان أجود ما يكون في رمضان ؛ لكثرة لقائه جبريل [3].

وأيضًا في إنزاله مفرقًا رفق بالأمة[4]؛ لأنه أدعىٰ لقبوله ، ولو نزل جملة لنفروا منه ؛ لكثرة ما فيه من الفرائض ، والمناهي كما وقع في بني إسرائيل ، فإن

٢- أخرج الحاكم في المستدرك " تفسير سورة الأنعام" رقم (٣٢٢٦)٢/ ٣١٤ عَنْ جَابِرٍ ﷺ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْعَامِ سَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ شَيَّعَ هَذِهِ السُّورَةَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مَا سَدَّ الأُفُقَ.

وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ فَإِنَّ إِسْمَاعِيلَ هَذَا هُوَ السُّدِّيُّ ، وَلَمْ يُخَرِّجْهُ الْبُخَارِيُّ.

(١) سورة الفرقان٢٥/ ٣٢

(٢) البرهان للزركشي ١/ ٢٣١، والإتقان للسيوطي١/ ١٢١

(٣) ينظر: الوسيط للواحدي ٣/ ٣٣٩، وزاد المسير لابن الجوزي ٣/ ٣٢٠، ولباب التأويل للخازن ٣/ ٣١٣، والبرهان في علوم القرآن للزركشي١/ ٢٣١

(٤) ولقد أبدع الرازي في هذا فقال في قوله تعالىٰ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ﴾ اعلم أن هذا هو الشبهة الخامسة لمنكري نبوه محمد -ﷺ- ، وأن أهل مكة قالوا تزعم أنك رسول من عند الله أفلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة

جملة علىٰ موسىٰ، والإنجيل علىٰ عيسىٰ، والزبور علىٰ داود ، وعن ابن جريج بين أوله وآخره اثنتان أو ثلاث وعشرون سنة وأجاب الله بقوله : ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾وبيان هذا الجواب من وجوه :

أحدها : أنه –عليه السلام – لم يكن من أهل القراءة والكتابة فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه ولجاز عليه الغلط والسهو ، وإنما نزلت التوراة جملة لأنها مكتوبة يقرؤها موسىٰ .

وثانيها : أن من كان الكتاب عنده ، فربما اعتمد علىٰ الكتاب وتساهل في الحفظ فالله –تعالىٰ– ما أعطاه الكتاب دفعة واحدة ؛بل كان ينزل عليه وظيفة ليكون حفظه له أكمل فيكون أبعد له عن المساهلة وقلة التحصيل.

وثالثها : أنه – تعالىٰ– لو أنزل الكتاب جملة واحدة علىٰ الخلق لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة علىٰ الخلق فكان يثقل عليهم ذلك ، أما لما نزل مفرقا منجما لا جرم نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان تحملها أسهل .

ورابعها : أنه إذا شاهد جبريل حالا بعد حال يقوىٰ قلبه بمشاهدته فكان أقوىٰ علىٰ أداء ما حمل ، وعلىٰ الصبر علىٰ عوارض النبوة وعلىٰ احتماله أذية قومه وعلىٰ الجهاد.

وخامسها : أنه لما تم شرط الإعجاز فيه مع كونه منجما ثبت كونه معجزا ، فإنه لو كان ذلك في مقدور البشر لوجب أن يأتوا بمثله منجما مفرقا .

وسادسها : كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعة لهم فكانوا يزدادون بصيرة؛ لأن بسبب ذلك كان ينضم إلىٰ الفصاحة الإخبار عن الغيوب.

وسابعها : أن القرآن لما نزل منجما مفرقا وهو –عليه السلام– كان يتحداهم من أول الأمر فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولىٰ.فبهذا الطريق ثبت في فؤاده أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة

وثامنها : أن السفارة بين الله – تعالىٰ– وبين أنبيائه وتبليغ كلامه إلىٰ الخلق منصب عظيم فيحتمل أن يقال إنه – تعالىٰ– لو أنزل القرآن علىٰ محمد –ﷺ– دفعة واحدة ؛ لبطل

موسىٰ أعطي التوراة في سبعة ألواح في زبرجد ، أو من سدر الجنة طول كل لوح اثنا عشر ذراعًا فيها تبيان كل شيء وموعظة [1] فلما رأىٰ بني إسرائيل عكوفًا علىٰ العجل رمىٰ بما في يده فتحطمت فرفع الله منها ستة أسباع، وبقي سبع فلما سكت عنه الغضب أخذها فأمرهم بما فيها من الوظائف فثقلت عليهم ، وأبوا أن يقروا بها فنتق الجبل عليهم حتىٰ صار فوقهم كالظلة وظنوا أنه واقع بهم فأخذوه عند ذلك[2] ؛ ولذا قالت عائشة: كان أول ما نزل من سوره المفصل فيه ذكر الجنة والنار حتىٰ إذا ثاب الناس للإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أولًا لا تشربوا الخمر، لا تزنوا لقالوا لا ندع الخمر ولا الزنا أبدًا[3]

ذلك المنصب علىٰ جبريل -عليه السلام- فلما أنزله مفرقا منجما بقي ذلك المنصب العالي عليه فلأجل ذلك جعله الله -سبحانه وتعالى- مفرقا منجما.

ينظر: مفاتيح الغيب ٢٤/ ٤٥٧

(١) لوحة رقم [٨] في المخطوط

(٢) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٥/ ١٥٧٤

(٣) أخرجه النسائي في سننه ، كتاب: فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ،باب: كَيْفَ نُزِّلَ الْقُرْآنُ ،رقم(٧٩٣٣)٧/ ٢٤٦ عن يُوسُفُ بْنُ مَاهَكَ قَالَ : إِنِّي لَعِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ فَقَالَ أَيُّ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَرِينِي مُصْحَفَكِ قَالَتْ : لِمَ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أُؤَلِّفُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، فَإِنَّا نَقْرَؤُهُ عِنْدَنَا غَيْرَ مُؤَلَّفٍ قَالَتْ : وَيْحَكَ وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ ؟ إِنَّمَا نُزِّلَ أَوَّلُ مَا نُزِّلَ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّىٰ إِذَا ثَابَ النَّاسُ لِلإِسْلاَمِ نُزِّلَ الْحَلاَلُ وَالْحَرَامُ ، وَلَوْ نُزِّلَ أَوَّلُ شَيْءٍ لاَ تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا : لاَ نَدَعُ شُرْبَ الْخَمْرِ ، وَلَوْ نُزِّلَ أَوَّلُ شَيْءٍ لاَ تَزْنُوا لَقَالُوا : لاَ نَدَعُ الزِّنَا ، وَإِنَّهُ أُنْزِلَتْ ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾بِمَكَّةَ وَإِنِّي جَارِيَةٌ أَلْعَبُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ -ﷺ- وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلاَّ وَأَنَا عِنْدَهُ قَالَ : فَأَخَرَجَتْ إِلَيْهِ الْمُصْحَفَ فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ

المسألة الثانية: في كيفية الإنزال وبيان ما نزل على الرسول.

قال الأصبهاني : اتفق أهل السنة علىٰ أن كلام الله – تعالىٰ- منزل ثم اختلفوا في معنىٰ الإنزال أو حقيقته تحريك من علو إلىٰ سفل وذلك لا يتحقق في الكلام ؛لأنه معنىٰ من المعاني.(١)

فمنهم من قال: إنزاله بإظهار قراءته (٢).

ومنهم من قال: إنزاله بإنزال حامله وهو جبريل – عليه السلام – فكأنه يتلقفه من الله تلقفًا روحانيًا أو يحفظه من اللوح المحفوظ ثم ينزل به من السماء إلىٰ الأرض.(٣).

قال البيهقي: معنىٰ (أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) أسمعنا الملك وأفهمناه إيّاه ما نزلناه بما سمع.

قال **أبوشامة**(٤) : هذا المعنىٰ مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة للقرآن يحتاجه أهل السنة المعتقدون أنه صفة ذاتية قديمة .(٥)

---

(١) ينظر: الحاوي في الفتاوي للسيوطي١/ ٣٢٢

(٢) روح المعاني للألوسي ١٠/ ١٢١

(٣) هو قول الطيبي في حاشية الكشاف المسماه فتوح الغيب ١/ ٦١٥، وأنوار التنزيل للبيضاوي ١/ ١٢٥ ، وقال السيوطي: سألت شيخنا العلامة الكافيجي عن معنىٰ التلقف، فقال: لا بكيف. الحاوي في الفتاوي١/ ٣٢٢

(٤) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقيّ، أبو القاسم، شهاب الدين، أبو شامة: مؤرخ، محدث، باحث. أصله من القدس، ومولده في دمشق، وبها منشأه ووفاته. ولي بها مشيخة دار الحديث الأشرفية، ودخل عليه اثنان في صورة مستفتيين فضرباه، فمرض ومات.٦٦٥ه. ينظر: الأعلام للزركلي٣/ ٢٩٩

(٥) الإتقان للسيوطي ١/ ١٢٥

وقال **القطب الرازي** في حواشي الكشاف: الإنزال لغة يأتي بمعنىٰ الإيواء.

فمن قال القرآن معنًىٰ قائم بذات الله – تعالىٰ – فإنزاله أن يوجد الكلمات الدالة عليه ويثبّتها في اللوح المحفوظ.

ومن قال القرآن هو الألفاظ فإنزاله مجرد إثباته في اللوح ويأتي بمعنىٰ تحريك الشيء من علو إلىٰ سفل. فالمراد بإنزاله إثباته في السماء الدنيا بعد إثباته في اللوح المحفوظ .

وأما إنزاله علىٰ الرسول فكما مر .

والحاصل أن الذي دل عليه أكثر الأحاديث أن القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر من شهر رمضان بعد نبوته [1]– صلَّىٰ الله عليم وسلَّم – بأن حفظه جبريل من اللوح ، أو بالتلقف الروحاني كما مر ،ووضعه في بيت يقال له بيت العزّة في سماء الدنيا بأن أملاه علىٰ السفرة . أي: الملائكة الكتبة وهو معنىٰ قوله – تعالىٰ– (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ)[2]، ثم نزل به علىٰ الرسول – صلَّىٰ الله عليم

---

(١) من هذه الأحاديث ما أخرجه الحاكم في المستدرك ،كتاب: التفسير،باب:تفسير سورة الواقعة،رقم(٣٧٨١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ ، قَالَ : أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ فُرِقَ فِي السِّنِينَ قَالَ : وَتَلاَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ قَالَ : نَزَلَ مُتَفَرِّقًا. وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.وما أخرجه الطبراني في الكبير ،رقم(١٢٢١٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ا فِي قَوْلِهِ:"إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ " ا قَالَ:أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً حَتَّىٰ وُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ا وَنَزَّلَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ بِجَوَابِ كَلامِ الْعِبَادِ ا وَأَعْمَالِهِمْ.

(٢) سورة عبس ٨٠/ ١٥-١٦

وسلَّم – منجمًا بحسب الحاجة كما مر[1].وأما المنزل عليه – صلَّىٰ الله عليم وسلَّم – [٨ب] **ففيه ثلاثة أقوال.**

الصحيح منها : أنه اللفظ والمعنىٰ معًا ، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح ونزل به .

قيل أحرف القرآن في اللوح كل حرف منها قدر جبل قاف وتحت كل حرف معان لا يحيط بها إلا الله – تعالىٰ–

والثاني: أنه منزل بالمعنىٰ خاصة وأن النبي – صلَّىٰ الله عليم وسلَّم – عبر عنه بهذه الألفاظ. ***والثالث***: مثله إلا أن جبريل – عليه السلام – نزل بها بعد ذلك.[2] وحاصل المعتمد أن القرآن نزل لفظه ومعناه من عند الله – تعالىٰ– .

وأما السنة فنزل معناها فقط ، وعبر عنها الرسول – صلَّىٰ الله عليم وسلَّم – من عنده ؛ولذا جاز روايتها بالمعنىٰ ، وامتنعت القراءة بالمعنىٰ؛ لأن القصد التعبد بألفاظه ، والإعجاز به فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه.[3]

---

(١) ردَّ ابن العربي في كتابه أحكام القرآن علىٰ هذا فقال: وَمِنْ جَهَالَةِ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُمْ قَالُوا : إنَّ السَّفَرَةَ أَلْقَتْهُ إلَىٰ جِبْرِيلَ فِي عِشْرِينَ لَيْلَةً وَأَلْقَاهُ جِبْرِيلُ إلَىٰ مُحَمَّدٍ عليه السلام فِي عِشْرِينَ سَنَةً .وَهَذَا بَاطِلٌ لَيْسَ بَيْنَ جِبْرِيلَ وَبَيْنَ اللهِ وَاسِطَةٌ .وَلَا بَيْنَ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمَا وَاسِطَةٌ .أحكام القرآن ٨/ ١٠٠.

(٢) نسب هذه الأقوال الزركشي في البرهان للسمرقندي ١/ ٢٢٩

(٣) وقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد أن السنة وحي من الله – سبحانه وتعالىٰ– لرسوله – ﷺ– منها: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ الْجُرَشِيِّ ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ ، أَلاَ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِيِّ ، وَلاَ

فائدة: أخرج ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري: لم ينزل وحي إلا بالعربية ثم ترجم عنه كل نبي لقومه.[1]

كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ ، أَلاَ وَلاَ لُقَطَةٌ مِنْ مَالِ مُعَاهَدٍ إِلاَّ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا ، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ ، فَلَهُمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ. مسند أحمد ،رقم (١٧١٧٤) ٤/ ١٣٠،

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨١٩

المسألة الثالثة: في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

وقد ورد الحديث بذلك عن نحو عشرين صحابيًا، ونص أبو عبيدة علىٰ تواتره وفي مسند أبي يعلىٰ أن عثمان – ﷺ – قال علىٰ المنبر أذكر الله رجلًا سمع النبي – صلَّىٰ الله عليم وسلَّم – قال أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف كلها شاف كاف لمّا قام فقاموا حتىٰ لم يحصوا فشهدوا بذلك وقال وأنا أشهد معهم.(١)

وقد اختلف في معنى ذلك على أربعين قولًا .

منها: أنه من المشكل الذي لا يدرىٰ معناه؛ لأن الحرف لغة يصدق علىٰ حرف الهجاء وعلىٰ الكلمة وعلىٰ المعنىٰ وعلىٰ الجهة ولا معنىٰ من ذلك.(٢)

ومنها: أن المراد من السبعة الكثرة في الآحاد كما يراد في السبعين في العشرات والسبعمائة في المئات لا العدد المعين وإليه جنح **عياض**(٣) ويرده حديث الصحيحين" عَنِ ابْنَ عَبَّاسٍ ، ﷺ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : أَقْرَأَنِي

---

(١) المقصد العلي في زوائد أبي يعلىٰ الموصلي ، رقم (١٢١٦) ٣/ ١٢٠، والإتقان للسيوطي١/ ١٣٠

(٢) نسب هذا القول الزركشي في البرهان ، والسيوطي في الإتقان لابن سعدان النحوي١/ ٢١٣، ١/ ١٣٠

(٣) عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها سنة:٤٧٦ه ، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسمومًا سنة:٥٤٤ه ، قيل: سمه يهودي. من تصانيفه " الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ " ينظر: صفة الصفوة ١/ ٢٧٧، والأعلام للزركلي٥/ ٩٩

جِبْرِيلُ عَلَىٰ حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ) (١).

وقيل المراد: سبع قراءات وَرُدَّ بأنه جهل قبيح إذ لا يوجد من الكلمات ما فيه سبعة أوجه إلا القليل وفيه ما قرئ علىٰ أكثر فلا وجه لتخصيص هذا العدد(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف، رقم(٤٩٩١) ٦/ ٢٢٧ ،وانظر: البرهان للزركشي ١/ ٢١٣، والإتقان للسيوطي ١/ ١٣١

(٢) عزا هذا القول الزركشي للخليل بن أحمد ؛ لكنه ضعفه

وقال: حكىٰ ابن عبد البر عن بعض المتأخرين من أهل العلم بالقرآن أنه قال : تدبرت وجوه الاختلاف في القرآن فوجدتها سبعة

منها ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ و: ﴿أَطْهَرَ لَكُمْ﴾ ﴿ويَضِيقُ صَدْرِي﴾ ﴿وَيَضِيقَ صَدْرِي﴾ بالرفع ، والنصب.

ومنها ما يتغير معناه ويزول بالإعراب ولا تتغير صورته كقوله ﴿رَبَّنَا بَاعَدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ و﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾

ومنها ما يتغير معناه بالحروف واختلافها ولا تتغير صورته كقوله ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ و﴿نُنْشِرها﴾

ومنها ما تتغير صورته ولا يتغير معناه ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ والصوف المنفوش ومنها ما تتغير صورته ومعناه مثل ﴿طَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ وطلع ومنها بالتقديم والتأخير ك ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ وسكرة الحق بالموت

ومنها الزيادة والنقصان مثل ﴿حَافِظُوا عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ وصلاة العصر وقراءة ابن مسعود ﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ أنثىٰ ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وكان كافرا قال أبو عمرو وجه حسن من وجوه معنىٰ الحديث وقال بعض المتأخرين هذا هو المختار قال والأئمة علىٰ أن مصحف عثمان أحد الحروف السبعة والآخر مثل قراءة

وأحسن الأقوال في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد بها الأوجه التي يقع بها التغاير في ألفاظ القرآن .وعليه أبو قتيبة، واختلف في تعيينها علىٰ أقوال. **قيل هي:** اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير[1] وضدهم واختلاف الأفعال بالماضي وغيره [2]والاختلاف بالإعراب وبالنقص والزيادة[3]

ابن مسعود وأبي الدرداء ﴿الذَّكَرَ وَالأُنْثَىٰ﴾ كما ثبت في الصحيحين ومثل قراءة ابن مسعود ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الغَفُور الرَّحِيمُ﴾ وقراءة عمر ﴿فامضوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ﴾ والكل حق والمصحف المنقول بالتواتر مصحف عثمان ورسم الحروف واحد إلا ما تنوعت فيه المصاحف وهو بضعة عشر حرفا مثل الله الغفور وإن الله هو الغفور. البرهان للزركشي١/ ٢١٥

(١) كقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ قرئ "لأماناتهم" بالجمع، وقرئ "لأمانتهم" بالإفراد.. ورسمها في الصحف "لأَمَنَتِهِمْ" يحتمل القراءتين، لخلوها من الألف الساكنة، ومآل الوجهين في المعنىٰ الواحد، فيراد بالجمع الاستغراق الدال علىٰ الجنسية، ويراد بالإفراد الجنس الدال علىٰ معنىٰ الكثرة، أي جنس الأمانة.

(٢) كقوله تعالىٰ: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قُرِئ بنصب "ربَّنا" علىٰ أنه منادىٰ مضاف، و"بَاعِد" بصيغة الأمر، وقُرِئ "ربُّنا" بالرفع، و"باعَد" بفتح العين، علىٰ أنه فعل ماض، وقُرِئ "بعِّد" بفتح العين مشددة مع رفع "ربُّنا" أيضًا.

ومن ذلك ما يكون بتغيير حرف، مثل "يعلمون، وتعلمون" بالياء والتاء، و"الصراط" و"السراط" في قوله تعالىٰ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

(٣) كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ قُرِئ "من تحتها الأنهار" بزيادة "من" وهما قراءتان متواترتان، والنقصان كقوله تعالىٰ: "قالوا اتخذ الله ولدًا" بدون واو، وقراءة الجمهور ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ وبالواو. وقد يمثل للزيادة في قراءة الآحاد، بقراءة ابن عباس: "وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا" بزيادة

وبالتقديم والتأخير(١) بالإبدال(٢) وبالفتح والإمالة ونحوها كالإدغام والتفخيم(٣).

وأحسنها قول ابن الجوزي: تتبعت صحيح القراءات ، وضعيفها ، ومنكرها فإذا هي لا يخرج اختلافها عن سبعة أوجه ؛ لأنه إما بتغيير الشكل فقط كالبخل بأربعة أوجه، ويحسب بوجهين أو مع المعنىٰ نحو ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ

"صالحة" وإبدال كلمة "أمام" بكلمة "وراء" وقراءة الجمهور: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ كما يمثل للنقصان بقراءة "والذكر والأنثىٰ" بدلًا من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾ .

(١) والتقديم يكون في كلمة أو حرف. أما في الحرف، كقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ﴾ ٤ وقُرِئ "أفلم يأيس" وإما في الكلمة كقوله تعالىٰ: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ بالبناء للفاعل في الأول، وللمفعول في الثاني، وقُرِئ بالعكس، أي بالبناء للمفعول في الأول، وللفاعل في الثاني.
أما قراءة "وجاءت سكرة الحق بالموت" بدلًا من قوله تعالىٰ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ ٦ فقراءة أحادية أو شاذة، لم تبلغ درجة التواتر.

(٢) الاختلاف بالإبدال: سواء أكان إبدال حرف بحرف. كقوله تعالىٰ: ﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ قُرِئ بالزاي المعجمة مع ضم النون، وقُرِئ بالراء المهملة مع فتح النون، أو إبدال لفظ بلفظ، كقوله تعالىٰ: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ ٨ قرأ ابن مسعود وغيره "كالصوف المنفوش"، وقد يكون هذا الإبدال مع التقارب في المخارج كقوله تعالىٰ: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ ٩ قُرِئ "طلع" ومخرج الحاء والعين واحد، فهما من حروف الحلق.

(٣) اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والهمز والتسهيل، والإشمام ونحو ذلك، كالإمالة وعدمها في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ قُرِئ بإمالة "أتىٰ" و"موسىٰ" وترقيق الراء في قوله: ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ وتفخيم اللام في "الطلاق" وتسهيل الهمزة في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ وإشمام الغين ضمة مع الكسر في قوله تعالىٰ: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ وهكذا.

كَلِمَاتٍ﴾ بالرفع والنصب[1] وإما في الحرف فقط كالصراط [٩أ] والسراط أو مع المعنىٰ نحو: قبلوا وقتلوا ،أو بتغيير كلمة أخرىٰ نحو فامضوا ، فاسعوا ، أو بالتقديم والتأخير نحو: فيقتلون ويقتلون ،أو بالزيادة والنقص كأوصىٰ ووصىٰ، قال: وأما الاختلاف بالإدغام ، والإظهار ، والروم ، والإشمام ونحو ذلك فلا يتنوع به اللفظ؛ لأن هذه صفات في آدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظًا واحدًا.

الثاني: أن المراد سبع لغات من لغات العرب هي أفصحها وإليه ذهب أبو عبيدة [2]، وثعلب [3]، والأزهري [4] ، واختاره ابن عطية [1]، وصححه البيهقي في الشعب .وفي تعيينها بأقوال.

---

(١) هي قراءة: ابن عامر، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم، وخلف، ويعقوب، وأبو جعفر.وقرأ ابن كثير منفردًا (ءادمَ) بالنصب .
ينظر: السبعة / ١٥٤ ، والحجة ٢/ ٢٣، والمبسوط/ ١٢٩ ، والتذكرة ٢/ ٢٥١

(٢) معمر بن الْمثنىٰ اللّغَوِيّ الْبَصْرِيّ أَبُو عُبَيْدَة مولىٰ بني تيم؛ تيم قُرَيْش، ولد سنة: ١١٠ه، رَهْط أَبُو بكر الصّديق. أَخذ عَن يُونُس وَأبي عَمْرو. وَهُوَ أول من صنّف غَرِيب الحَدِيث. أَخذ عَنهُ أَبُو عبيد وَأَبُو حَاتِم والمازني والأثرم وَعمر بن شبة. له(مجاز القرآن) والتصانيف الأخرىٰ الكثيرة. توفي سنة: ٢٠٩ ه ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٩/ ٤٤٥ ،وبغية الوعاة للسيوطي٢/ ٢٩٤، والأعلام للزركلي٧/ ٢٧٢

(٣) أبو العباس أحمد بن يحيىٰ بن يزيد الشيباني مولاهم، البغدادي، المحدث، إمام النحو، صاحب الفصيح والتصانيف، ولد: سنة ٢٠٠ه، قال ابن مجاهد: فرأيت النبي –ﷺ– في المنام فقال لي: أقرئ أبا العباس السلام، وقل له: إنك صاحب العلم المستطيل. توفىٰ سنة:٢٩١ ه ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي١٤/ ٦، والأعلام للزركلي ٢/ ٩٩

(٤) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور: أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده سنة: ٢٨٢ ه ، ووفاته في هراة بخراسان سنة:٣٧٠ه نسبته إلىٰ جده " الأزهر " عني بالفقه

منها: قول ابن أبي حاتم لغة قريش ، وهذيل ، وتميم ،والأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر.

قال ***أبو عبيد***(٢) : وليس المراد أن في كل كلمة سبع لغات ؛ بل هي مفرقة فيه فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وهكذا لكن بعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبًا .

وقيل لغات سبع بطون من قريش ؛ لأنه نزل بلغتهم .

وأما حديث الحاكم ، والبيهقي عن ابن مسعود مرفوعًا (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ : كَانَ الْكِتَابُ الأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ، وَعَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ ، عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ : زَاجِرٌ ، وَآمِرٌ ، وَحَلاَلٌ ، وَحَرَامٌ ، وَمُحْكَمٌ ، وَمُتَشَابِهٌ(٣)، وأمثال.

فاشتهر به أولا، ثم غلب عليه التبحر في العربية. صاحب " تهذيب اللغة"ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٢/ ٣٤، والأعلام للزركلي ٥/ ٣١١،

(١) المحرر الوجيز ١/ ٤٤

(٢) القاسم بن سلاَّم الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي ، أبو عُبيد، ولد سنة ١٥٧ه، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدبا. ورحل إلىٰ بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة. ورحل إلىٰ مصر سنة ٢١٣ وإلىٰ بغداد، فسمع الناس من كتبه. وحج، فتوفي بمكة.سنة:٢٢٤ هـ. ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي٢٤/ ٩١، وبغية الوعاة للسيوطي ٢/ ٢٥٣، والأعلام للزركلي٥/ ١٧٦

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ،باب: قراءة القرآن، رقم(٧٤٥) ٣/ ٢٠ ونص الحديث(ابْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ : كَانَ الْكِتَابُ الأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ، وَعَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ ، عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ : زَاجِرٌ ، وَآمِرٌ ، وَحَلاَلٌ ،

فقال المراد بالسبعة فيه: الأنواع التي تنزل عليها القرآن ، والمراد بها في غيره اللغات التي يقرأ بها القرآن ، فقوله في الحديث: زاجر ، وآمر استئناف كلام. أي: هو زاجر إلخ لا بيان للأحرف السبعة فيه ، وإنما توهم ذلك من اتفاق العدد، ويؤيده أن بعض طرقه زاجرًا وآمرًا بالنصب أي: إنزاله علىٰ هذه الصفة.

وقال أبو شامة: هي تفسير للأبواب لا للأحرف. أي: من أبواب الكلام وأقسامه؛ لأن أكثر الأحاديث يدل علىٰ جواز القراءة بكل واحد من الحروف السبعية ، وجواز إبدال حرف بآخر توسعة علىٰ الناس ، وقد أجمع المسلمون علىٰ أن التوسعة لم تقع في تحليل حرام ولا تحريم حلال ، ولا يجوز إبدال آية أمثال بآية أحكام.(١)

تنبيه:

قال جماعة من الفقهاء ، والقراء ،والمتكلمين : هذه الأحرف السبعة كلها مجموعة في المصاحف العثمانية فلا يجوز إهمال نقل شيء منها .

وقال جمهور السلف والخلف والأئمة: لم تشتمل إلا علىٰ ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة لا علىٰ جميعها ، وهي جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي – صلَّىٰ الله عليم وسلَّم – علىٰ جبريل لم تترك منها حرفًا ؛ لأن القراءة علىٰ جميع الأحرف لم تكن واجبة علىٰ الأمة ، وإنما كان جائزًا لهم ومرخصًا فيه.

وَحَرَامٌ ، وَمُحْكَمٌ ، وَمُتَشَابِهٌ ، وَأَمْثَالٌ ، فَأَحِلُّوا حَلاَلَهُ ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ ، وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ ، وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ ، وَقُولُوا : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) قال الأرنؤوط : رجاله ثقات إلا أنه منقطع

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري٩/ ٣٩ .

قال البغوي : وكان جبريل -عليه السلام- يعارض النبي - صلَّىٰ الله عليم وسلَّم - بالقرآن كل سنة مرة في شهر رمضان فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين (**قاله اليعقوبي**) يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بين فيها ما نسخ ، وما بقي ، وكتبها لرسول الله - صلَّىٰ الله عليم وسلَّم - وقرأها عليه ؛ ولذا اعتمده أبو بكر ، وعمر ،وجمعه وولاه عثمان كَتْبَ المصاحف.

واعلم أن القرآن في عهد رسول الله - صلَّىٰ الله عليم وسلَّم - كان مكتوبًا في مصاحف متفرقة علىٰ حسب ما يحفظه كل من الصحابة ، ولم يجمع في شيء واحد لما كان يترقب من وجود نسخ ، أو زيادة فلما انقضىٰ نزوله بوفاته -ﷺ- ألهم الله الخلفاء الراشدين جمعه وفاءً بوعده الصادق بأنه يضمن حفظه للأمة ، فكان ابتداء ذلك علىٰ يد الصديق-رضي الله عنه- بمشورة عمر-رضي الله عنه- قال الحاكم في المسند : جُمِعَ القرآن ثلاث مرات.[1]

---

(١) أورد الحاكم في المستدرك ما يفيد ذلك . كتاب: التفسير ،رقم (٢٩٠١) ٢/ ٢٤٩

عن زيد بن ثابت-رضي الله عنه- قال : كنا عند رسول الله صلىٰ الله عليه و سلم نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال رسول الله صلىٰ الله عليه و سلم : طوبىٰ للشام فقلنا لأي شيء ذاك ؟ فقال : لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم.قال الذهبي: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين و لم يخرجاه و فيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله صلىٰ الله عليه و سلم ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق و الجمع الثالث هو في ترتيب السورة كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أجمعين

أحدها: بحضرة النبي -ﷺ- لما روي عن زيد بن ثابت كنا نؤلف[1] القرآن من الرقاع[2] (...) الحديث[3] .

قال البيهقي: يشبه أن يكون المراد تأليف ما نزل في الآيات المفرقة وجمعها في سورة واحدة بإشارته -ﷺ- .

---

(١) نؤلف: أي: نجمع ، الْهَمْزَةُ وَاللَّامُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَىٰ انْضِمَامِ الشَّيْءِ إِلَىٰ الشَّيْءِ، وَالْأَشْيَاءُ الْكَثِيرَةُ أَيْضًا. معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة (أَلَفَ)

(٢) الرُّقْعَةُ: واحدةَ الرِقاعِ التي تُكْتَبُ. والرُّقْعَةُ: الخرقةُ. الصحاح للجوهري ، مادة (رقع)

(٣) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: جَمْعِ القُرْآنِ، رقم (٤٩٨٦)" عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ، قَالَ: «أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: «كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟» قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ، «فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّىٰ شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَىٰ عُمَرُ»، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، «فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ»، قُلْتُ: «كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟»، قَالَ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، " فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّىٰ شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ﷺ، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّىٰ وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] حَتَّىٰ خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ﷺ "

الثانية: في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- بمشورة عمر-رضي الله عنه- لما وقع القتل في القراء في غزوة اليمامة ، فقال له عمر - رضي الله عنه- أخشىٰ أن يستمر القتل في القراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن فأمر بجمعه . فقال كيف نفعل شيئًا ولم يفعله النبي -ﷺ- ؟ ، فقال : "هذا خير فلم يزل يراجعه حتىٰ رأىٰ مثل ما رأيته فأرسل إلىٰ زيد بن ثابت ، وقال له: إنك شاب ، عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي فتتبع القرآن اجمعه ، قال: فتتبعت القرآن في العسب ، واللخاف، وصدور الرجال ، والأكتاف ،والأقتاب حتىٰ جمعته في صحف ، فكانت الصحف عند أبي بكر -رضي الله عنه- حتىٰ مات ، ثم عمر رضي الله عنه- حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر -رضي الله عنه[1] ولما جمعوه ، وكتبوه في الورق قال أبو بكر -رضي الله عنه- : التمسوا له اسمًا فقال بعضهم سموه إنجيلًا .

وقال آخرون : سفرًا فكرهوهما ؛ لأجل النصارىٰ واليهوداً فقال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتابًا يدعونه المصحف فسمّوه به.

---

(١) هذا الحديث يدل علىٰ مبلغ اهتمام كبار الصحابة بالمحافظة علىٰ القرآن وعلىٰ مبلغ ثقة أبي بكر ، وعمر ، بزيد بن ثابت وعلىٰ جدارة زيد بهذه الثقة لتوافر تلك المناقب التي ذكرها فيه أبو بكر. ويؤيد ورعه ودينه وأمانته قوله: (فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن) ويشهد بوفرة عقله تردده وتوقفه أول الأمر ومناقشته لأبي بكر حتىٰ راجعه أبو بكر وأقنعه بوجه الصواب.

وينطق بدقة تحريه قوله: (فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال) اهـ. رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنهم وعنا أجمعين.

ينظر: مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٢٥١

والعسب : جمع عسيب وهو جريد النخل المنزوع خوصه[1]، واللِخاف بكسر اللام وتخفيف الخاء المعجمة آخره فاء، جمع :لخفة بالفتح هي: الحجارة الرقاق[2] ، والأكتاف: جمع كتف وهو: العظم العريض الذي للبعير ،أو الشاة كانوا يكتبون عليه إذا جف، [3] والأقتاب: جمع قتب وهو خشب الرحل الذي يركب عليه[4].

وروي عن الليث بن سعد [5] : أن زيدًا كان لا يأخذ شيئًا من أحد حتىٰ يأتيه بشاهدي عدل ، أي: علىٰ أنه من الوجوه التي نزل بها القرآن ، أو علىٰ أنه من العرضة الأخيرة وأن آخر سورة التوبة (لَقَدْ جَاءكُمْ) لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت[6] فقال :

---

(١) الصحاح للجوهري ، مادة (عسب)

(٢) الصحاح للجوهري ، مادة (لخف)

(٣) الصحاح للجوهري ، مادة (كتف)

(٤) الصحاح للجوهري ، مادة (قتب)

(٥) الليث بن سعد عبد الرحمن الفهميّ: بالولاء، أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره، حديثا وفقها. ولد : ٩٥ هـ، وقال الإمام الشافعيّ: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. أخباره كثيرة، وله تصانيف. وتوفىٰ :١٧٥ هـ ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٤٣٨، والأعلام ٥/ ٢٤٨

(٦) خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأنصاري، أبو عمارة ، ولد قبل الهجرة : صحابي، من أشراف الأوس في الجاهلية والإسلام، ومن شجعانهم المقدمين. وكان من سكان المدينة، وحمل راية بني خطمة من الأوس يوم فتح مكة. وعاش إلىٰ خلافة علي بن أبي طالب، وشهد معه صفين، فقتل فيها. روىٰ له البخاري ومسلم وغيرهما ٣٨ حديثا. وتوفىٰ ٣٧ هـ ينظر: الإصابة لابن حجر ١/ ٤٢٥، والأعلام ٢/ ٣٠٥

اكتبوها فإن رسول الله -ﷺ- جعل شهادته بشهادتين(1).

الثالثة: في عهد عثمان لما بلغه اختلاف الناس فيه حتىٰ كان يقول بعضهم لبعض قراءتي خير من قراءتك ، وحتىٰ اقتتل الغلمان والمعلمون فأمر عثمانُ زيدَ بن ثابت مع آخرين فأخذوا الصحف من عند حفصة ، ونسخوا المصاحف منها وردوها إليها ، وأرسل إلىٰ كل أفق بمصحف مما نسخوا وحرق ما سوىٰ ذلك ، والمشهور أنها خمسة مصاحف ، وقيل: سبعة فأرسل إلىٰ مكة ، والشام، واليمن ، والبحرين ، والبصرة ،والكوفة ، وحبس بالمدينة واحدًا ،

قال ابن **التين** : والفرق بين هذا الجمع ، وجمع الصديق أنه جمع ؛ لخشية ذهاب بعض القرآن بموت حملته (2)؛لأنه لم يكن مجموعًا في موضع واحد ، فجمعه في صحائف مرتّبًا لآيات سوره علىٰ ما وقفهم عليه النبي -ﷺ- وجَمْعُ ***عثمان*** كان ؛ لكثرة الاختلاف في وجوه القراءات فأدىٰ إلىٰ تخطئة بعضهم بعضًا ، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتّبًا لسوره ، واقتصر من سائر اللغات علىٰ لغة قريش؛لأنه نزل بلغتهم وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم في ابتداء الأمر دفعًا للمشقة فرأىٰ أن الحاجة قد انتهت فاقتصر علىٰ لغة واحدة .

---

(1) أخرج الإمام أحمد في مسنده ، رقم(٢١٦٥٢) بلفظ" عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَوْ غَيْرِهِ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، قَالَ: لَمَّا كُتِبَتِ الْمَصَاحِفُ فَقَدْتُ آيَةً كُنْتُ أَسْمَعُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدْتُهَا عِنْدَ خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ، إِلَىٰ، ﴿تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] قَالَ: فَكَانَ خُزَيْمَةُ يُدْعَىٰ ذَا الشَّهَادَتَيْنِ " أَجَازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ "

(2) تفسير الحداد ١/ ٣٩

وقال القاضي الباقلاني: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قصد جمعهم علىٰ القراءات الثابتة عن النبي -ﷺ- وإلغاء غيرها خشية دخول الفساد والشبهة علىٰ من يأتي بعد، وقد قام الإجماع والنصوص المترادفة علىٰ أن ترتيب الآيات في سورها علىٰ ما هي الآن توقيفي لا شبهة في ذلك ، وأما ترتيب السور فجمهور العلماء علىٰ أنه باجتهاد من الصحابة حين جمعه عثمان [1]، وإليه ذهب مالك ، والقاضي أبو بكر[2] في آخر قوليه، وقال قوم: توقيفي وأن القرآن هكذا في اللوح المحفوظ بترتيب سوره وآياته وأوقفهم عليه النبي -ﷺ- فالخلاف لفظي ؛ ؛لأن القائل بالثاني يقول إنه رمز إليهم ذلك لعلمهم بأسباب النزول ومواقع كلماته .

ولهذا قال مالك : إنهم ألفوا القرآن علىٰ ما كانوا يسمعونه منه[3] -ﷺ- مع قوله بالأول ، ولا يخفىٰ أن هذا الترتيب غير ترتيب النزول؛ لأنه كان ينزل بحسب الوقائع والأسئلة الآية الواحدة ، والأكثر ويخبره جبريل بموضعها من سورتها والله ﷻ أعلم.

---

(١) الانتصار للباقلاني١/ ٦٥

(٢) هو: القاضي أبو بكر الباقلاني .

(٣) البرهان في ترتيب سور القرآن للغرناطي١/ ٢٧

خـــاتـــمة

في معرفة إعجاز القرآن قد أفرده بالتصنيف خلائق[1] قال ابن [١٠ب] العربي[2]: "وَلَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُ كِتَابِ القاضي أبي بكر الباقلاني[3]"

اعْلَمْ أَنَّ الْمُعْجِزَةَ: أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مقرونٌ بالتحدي سَالِمٌ عن الْمُعَارَضَةِ، وَهِيَ إِمَّا حِسِّيَّةٌ وَإِمَّا عَقْلِيَّةٌ، وَأَكْثَرُ مُعْجِزَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ حِسِّيَّةً؛ لِبَلَادَتِهِمْ وَقِلَّةِ بَصِيرَتِهِمْ، وَأَكْثَرُ مُعْجِزَاتِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَقْلِيَّةٌ؛ لِفَرْطِ ذَكَائِهِمْ وَكَمَالِ أَفْهَامِهِمْ[4].

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ أَنَّ كِتَابَ اللهِ – تَعَالَىٰ – مُعْجِزٌ لَمْ يَقْدِرْ أَحِدٌ عَلَىٰ مُعَارَضَتِهِ[5].

---

(١) قال السيوطي: فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، أَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ خَلَائِقُ مِنْهُمُ الخطابي والرماني الزملكاني وَالْإِمَامُ الرَّازِيُّ وَابْنُ سُرَاقَةَ وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ. الإتقان في علوم القرآن المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م ٤/ ٣.

(٢) محمد بن محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي سعد الدين ابن الشيخ محيي الدين ابن العربي. ولد سنة:٦١٨ه، له: أحكام القرآن، وتوفىٰ سنة:٦٥٦ه.

ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي١/ ١٥٣ ، الإتقان في علوم القرآن ٤/ ٣، أبجد العلوم لمحمد صديق خان، دار ابن حزم، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م ص٥٠٩.

(٣) يشير هنا إلىٰ كتاب: إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفىٰ: ٤٠٣ هـ) وهناك نسخة منه بتحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م موجود بحوزتي.

(٤) التعريف بحروفه من الإتقان ٤/ ٣.

(٥) الإتقان٤/ ٤.

وهو أعظم معجزاته – ﷺ –قال – تعالىٰ–: (وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ)[1]، فأخبر أنه آية قائمة مقام آيات غيره من الأنبياء، وروىٰ البخاري[2] (مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قيل[3]: معناه أَنَّ الْمُعْجِزَاتِ الْمَاضِيَةَ كَانَتْ حِسِّيَّةً تُشَاهَدُ بِالْأَبْصَارِ كعصىٰ موسىٰ، وناقة صالح فانقرضت بانقراض عصرهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، وَمُعْجِزَةِ الْقُرْآنِ تُشَاهَدُ بِالْبَصِيرَةِ لكل من جاء بعد الأول مستمرة إلىٰ يوم القيامة، فلا يمر عصر إلا ويشاهد ذوو البصائر إعجازه الدال علىٰ صدقه – ﷺ – ، فيكثر تابعوه، ولما جاء به النبي – ﷺ – إليهم ، وأنفوا قبوله تحداهم به، وطلب منهم معارضته، وأمهلهم طول السنين فطلب منهم عشر سور بقوله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللهِ)[4] فلما عجزوا تحداهم بسورة واحدة ، ثم تحداهم بأقل منها فقال:(فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ) [5]،

---

(١) النعكبوت: ٥٠، ٥١.

(٢) صحيح البخاري، تحقيق : د. مصطفىٰ ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م برقم (٤٦٩٦) ٤/ ١٩٠٥

(٣) فتح الباري لابن حجر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ هـ/ ٧.

(٤) هود: ١٣، ١٤.

(٥) الطور: ٣٤.

فلما عجزوا نادىٰ عليهم بإظهار عجزهم بقوله: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (١)، هذا وَهُم أفصح الْفُصَحَاءُ، ومصاقع الخطباء(٢)، ولهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة والأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور، وَقَدْ كَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَىٰ إِطْفَاءِ نُورِهِ وَإِخْفَاءِ أَمْرِهِ فما رام ذلك خطيب منهم، ولا طمع فيه شاعر، ولو تكلفه أحد لوجد من يستجيده ويحامي عنه، ويزعم أنه قد عارض وناقض؛ بَلْ عَدَلُوا إِلَىٰ الْعِنَادِ تَارَةً وَإِلَىٰ الِاسْتِهْزَاءِ فقالوا: سحرٌ، شعرٌ، أساطيرُ الأولين، ثُمَّ رَضُوا بِتَحْكِيمِ السَّيْفِ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَاسْتِبَاحَةِ أَمْوَالِهِمْ وحرمهم، وهم أشد الخلق أَنَفة وأكثرهم مفاخرة(٣)، والكلام سيد عملهم، وقد احتاجوا إليه، والحاجة تبعث علىٰ الحيلة، فلو قدروا علىٰ معارضته لبادروا إليها قطعًا للحجة ؛ لأنها تكون أهون عليهم من ذلك.

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ(٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ إِلَىٰ النَّبِيِّﷺفَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ يَا عَمِّ إِنَّ قَوْمَكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا تَتعرَّضَ لِمَا قِبَلَهُ قَالَ قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا قَالَ فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ قَالَ وَمَاذَا

---

(١) الإتقان٤/ ٣..

(٢) الخَطيبُ المِصقَعُ: مَن لَا يُرتَجُ عَلَيْهِ فِي كَلَامه، وَلَا يتَتَعْتَعُ، تاج العروس ، مادة (صقع)

(٣) الإسراء: ٨٨.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م، برقم (٣٨٧٢) ٢/ ٥٥٠، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَىٰ شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

أَقُولُ فَوَ اللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشِّعْرِ مِنِّي وَلَا بِرَجَزِهِ وَلَا بِقَصِيدِهِ وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّهُ لِمُثْمِرٌ [١١ب] أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَىٰ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيُحَطِّمُ مَا تَحْتَهُ قَالَ لَا يَرْضَىٰ عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّىٰ تَقُولَ فِيهِ قَالَ دَعْنِي حَتَّىٰ أُفَكِّرَ فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ هَذَا "سِحْرٌ يُؤْثَرُ" يَؤْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ".فنزلت الآية: (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ) [1] إلخ،

وإذ قد علمت علىٰ الجملة أن القرآن معجز فلابد من بيان وجه إعجازه وَقَدْ خَاضَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ كَثِيرًا فَبَيْنَ مُحْسِنٍ وَمُسِيءٍ

فَزَعَمَ قَوْمٌ[2] أَنَّ التَّحَدِّيَ وَقَعَ بِالْكَلَامِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ الذَّاتِ وَأَنَّ الْعَرَبَ كُلِّفَتْ فِي ذَلِكَ مَا لَا يُطَاقُ وَبِهِ وَقَعَ عَجْزُهَا، وَهُوَ مَرْدُودٌ؛ لِأَنَّ مَا لَا يُمْكِنُ الْوُقُوفُ عَلَيْهِ لَا يُمكن التَّحَدِّيَ بِهِ، وَالصَّوَابُ مَا اتفق عليه الْجُمْهُورُ أَنَّهُ وَقَعَ بِالدَّالِّ عَلَىٰ الْقَدِيمِ وَهُوَ الْأَلْفَاظُ، ثم اختلفوا، فقال النَّظَّامُ [3] من المعتزلة[4] إعجازه بصرفه الله العرب عن معارضته وسلبهم قدرتهم عليه ولولا ذلك لعارضوه فصار معجزة بِالصِّرْفَةِ، ورُدّ[5] بأن آية:

---

(١) المدثر: ١٨.

(٢) الإتقان٤/ ٧.

(٣) إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظّام: من أئمة المعتزلة، قال الجاحظ: (الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له فان صح ذلك فأبو إسحاق من أولئك) .توفى ٢٣١ ه ينظر: الأعلام للزركلي١/ ٤٣

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م ص٧.

(٥) الإتقان٤/ ٧.

(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ..)[1] تدل علىٰ بقاء قدرتهم؛ إذ لو سلبوها لكانوا كالموتىٰ لا فائدة باجتماعهم ولا يحتفل به وبأنه حينئذٍ ليس معجزًا في ذاته فلا يكون وصف الإعجاز قائمًا به ويلزم زواله عنه بزوال زمن التحدي وانعقاد الإجماع علىٰ إضافة الإعجاز إليه وعلىٰ بقاء معجزة الرسول العظمىٰ إلىٰ الأبد يكذبه.

قال القاضي الباقلاني[2]: ليس هَذَا بِأَعْجَبِ مِنْ قَوْلِ فَرِيقٍ مِنْهُمْ إِنَّ الْكُلَّ قَادِرُونَ عَلَىٰ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ وإنما منعهم عدم العلم بوجه ترتيبه، مِنْ قَوْلِ آخَرِينَ إِنَّ العجز وقع منهم وأما مَنْ بَعْدَهُمْ، فيقدر عليه، وكل هذا باطل لا يعتد به.

واعلم أن جهة إعجاز القرآن لا تتعلق بمفردات ألفاظه، وإلا لكانت قبل نزوله معجزة؛ لأنها ألفاظهم، ولا بمجرد تأليفها وإعرابها، وإلا لكان كل كلام معرب معجزًا، ولا بمعانيه فإن كثيرًا منها [١٢أ] في الكتب المتقدمة، وما هو فيه من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيب، وإن كان معجزًا لكن لا من حيث كونه قرآنًا؛ بل من حيث حصولها بلا سبق بعلم؛ لأن الإخبار بالغيب مثلًا لا يخرج عن كونه إخبارًا بالغيب سواء بهذه الألفاظ أو بغيرها ولو بغير العربية أو بالإشارة وإنما تتعلق بنظمه المخصوص أو بفصاحة ألفاظه[3].

---

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) إعجاز القرآن ص٣١.

(٣) هذا القول هو الذي عليه الجمهور والحذاق، وهو الصحيح في نفسه، كما قال ابن عطية في كتابه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤٢٢ ١هـ/ ٥، وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م١/ ٢٣.

أما بيان كون النظم معجزًا، فاعلم أولًا أن لكل شيء عنصرًا وصورة، فعنصره مادته التي يتركب منها، وصورته هي هيئة تركيبه، والشيء يختلف اسمه باختلاف صورته لا عنصره كالخاتم والقرط والسوار من الذهب اختلفت أسماؤها لاختلاف صورتها مع اتحاد عنصرها وإذا اتخذ خاتم من فضة وآخر من ذهب وآخر من حديد فاسمه خاتم لا يختلف مع اختلاف عنصره إذا علمت ذلك فعنصر القرآن لفظه ومعناه وصورته نظمه وأسلوبه المخصوص والإعجاز إنما حصل بالثاني لا بالأول ؛لأنه موجود في غيره كما علمت وبيان ذلك أن أول مراتب تأليف الكلام بضم الحروف المبسوطة إلىٰ بعضها لتحصل الكلمات المفردة ثم بضم هذه الكلمات إلىٰ بعضها لتحصل الجمل المفيدة المتداولة بين الناس في مخاطباتهم ثم بضم هذه الجمل إلىٰ بعضها علىٰ وجه مخصوص فإما موزون وهو الشعر أو مسجوع وهو السجع أولًا ولا كالرسائل فأنواع كلام العرب لا تخرج عن هذه الأقسام ولكل منها نظم وأسلوب يخصه وأسلوب القرآن مخالف لجميعها بما جاءت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته فلا يقال له شعر ولا سجع ولا رسالة مع جمعه محاسن الجميع ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، هذا ملخص ما قاله الأصبهاني في [١٢ب] في تفسيره[1]،

(١) تفسير الراغب الأصفهاني، جزء ١ : المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م ص٤٤ وما بعدها.

والقاضي عياض في الشفاء[1].في بيان هذا الوجه، قال في الشفا: وهو يصلح أن يكون مستقلًا بالإعجاز.

واعترض[2] بأنه لو كان الإعجاز بمجرد الأسلوب لكان الابتداء بأسلوب الشعر مثلًا معجزًا ، ولكان هذيان مسيلمة معجزًا ؛ لأنه قلد القرآن في فواصله وكذلك المعري[3] ، وابن المقفع[4]، فلم يأتوا إلا بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع وبأن الإعجاز يوجد بدون هذا الأسلوب من المقاطع والفواصل نحو: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[5]،﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [6].

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاضي عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفىٰ: ٥٤٤ هـ)، دار الفيحاء – عمان، الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ ١هـ/ ٥١٥.

(٢) الشفا١/ ٥١٤، والإتقان٤/ ١١.

(٣) أَحْمد بن عبد الله بن سُلَيْمَان بن دَاوُد بن المطهر بن زِيَاد ابْن ربيعَة بن الْحَارِث التنوخي الإِمَام أَبُو الْعَلَاء المعري من معرة النُّعْمَان من الشَّام، ولد : سنة ٣٦٣ه، غزير الْفضل، شَائِع الذّكر، وافر الْعلم، غَايَة فِي الْفَهم، عَالما باللغة، حاذقاً بالنحو، جيد الشّعْر، جزل الْكَلَام، شهرته تغني عَن صفته. توفىٰ سنة:٤٤٩ه.

ينظر: بغية الوعاة للسيوطي١/ ٣١٥، والأعلام للزركلي١/ ١٥٧

(٤) عبد الله بن المقفع: من أئمة الكتاب، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ولد في العراق مجوسيا مزدكيا سنة: ١٠٦ه ، وأسلم علىٰ يد عيسىٰ ابن علي عم السفاح وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي. توفىٰ سنة١٤٢ه.

ينظر: الأعلام للزركلي٤/ ١٤٠

(٥) الحجر: ٩٤.

(٦) يوسف: ٨٠.

فالتحقيق أن الإعجاز إنما هو ببلاغته وفصاحة ألفاظه وهو الذي عليه عامة العلماء والحذاق[1]؛ لأن تعجب العرب إنما كان من فصاحته وانسجامه لما فيه من حسن التأليف والتئام الكلمة وفصاحتها ووجوه البلاغة الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن[2] وبها أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء؛ لأن الله تعالىٰ أحاط بكل شيء علمًا، فيعلم أي لفظة تصلح أن تلي الأولىٰ، وتبين المعنىٰ بعد المعنىٰ هذا من أول القرآن إلىٰ آخره، فبهذا جاء في الغاية القصوىٰ من الفصاحة والبلاغة، ومعلوم أن أحدًا من البشر لا يحيط بذلك؛ بل يعمهم الجهل والنسيان، ولهذا ترىٰ البليغ ينسج القصيدة حولًا، ثم ينظر فيها فيغير منها، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة، وأدير لسان العرب علىٰ أن يقوم مقامها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، وتخفىٰ علينا في مواضع لقصورنا عن العرب في سلامة الذوق أو جودة القريحة، ولما عجزت العرب وهم أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة قامت بهم الحجة علىٰ بقية العالم، كما قامت الحجة في معجزة موسىٰ بالسحرة، ومعجزة عيسىٰ بالأطباء؛ لأن عادة الله تعالىٰ أن يجعل معجزات الأنبياء من الوجه الشهير بأنه أبرع ما يكون في زمنهم، فلما [١٣أ] انتهىٰ السحر في زمن موسىٰ أتاهم بنظيره في العصا وفلق البحر، وكذلك الطب في زمن عيسىٰ فإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتىٰ، وكذلك الفصاحة في زمن محمد ﷺ[3] [فأتاهم بالقرآن]، وإنما يدرك الإعجاز بهذا الوجه لغير ذوي الفطن السليمة، وهم العرب العرباء بالتفكر في علوم البلاغة ؛لأن

(١) المحرر الوجيز١/ ٥، وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن١/ ٢٣.

(٢) الإتقان٤/ ١٨.

(٣) معترك الأقران١/ ٢٣.

معرفة الفصيح والأفصح، والبليغ والأبلغ إنما يدرك بالذوق، ولا يمكن وصفه ولا تعليله كالملاحة، وطيب النغم العارض للصوت، كما قاله السكاكي في المفتاح[1]، وذلك كجاريتين[2] إِحْدَاهُمَا بَيْضَاءُ مُشْرَبَةٌ بِحُمْرَةٍ دَقِيقَةُ الشَّفَتَيْنِ نَقِيَّةُ الثَّغْرِ كَحْلَاءُ الْعَيْنَيْنِ أَسِيلَةُ الْخَدِّ، وَالْأُخْرَىٰ دُونَهَا فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ وَالْمَحَاسِنِ لَكِنَّهَا أَحْلَىٰ فِي الْعُيُونِ ، وأخف علىٰ القلوب، وَلَا يُدْرَىٰ سَبَبُ ذَلِكَ ، ولا يمكن تعليله، وإنما يدرك بالذوق وهكذا الكلام، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة يكون من أهل الذوق المنتقدين للكلام، وإنما هو من اشتغل بعلم البلاغة، وراض نفسه بالرسائل والخطب والشعر، حتىٰ صارت له ملكة ودراية تامة، فإليه يرجع في تفضيل الكلام وتمييز غثه من ثمينه.

وقال الخطابي[3]ذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ مِنْ علماء النظر إلىٰ أن وَجْهِ الْإِعْجَازِ فِيهِ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لَكِنْ صَعُبَ عَلَيْهِمْ تَفْصِيلُهَا وَصَغَوْا فِيهِ إِلَىٰ حُكْمِ الذَّوْقِ. والتحقيق في بيانه أن أجناس الكلام ومراتبه متفاوتة فأعلاها البليغ الجزل، وأوسطها الفصيح القريب، وأدناها الجائر المطلق فحازت بلاغات القرآن من

(١) مفتاح العلوم ليوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفىٰ: ٦٢٦ هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م ص٤١٦.

(٢) الإتقان٤/ ٢١٤.

(٣) بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)] المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفىٰ: ٣٨٨ هـ) المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م ص٢٦.

كل قسم حصة فانتظم بها نمطٌ من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين؛ لأن العذوبة نتاج [١٣ب] السهولة والجزالة فيها نوع من الزعورة، فكان اجتماع الأمرين مع تضادهما فضيلة خُصَّ بها القرآن.

ومن وجوه الإعجاز [١]: ما انطوىٰ عليه من الأخبار بما لم يكن من المغيبات فوجد كما أخبر كآية: ﴿فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [٢] ، فما تمناه أحد [منهم]

ومنها: أخبار القرون السابقة والأمم الماضية مما كان لا يعلم من القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعليم ذلك، فيورده ﷺعلىٰ وجهه ويأتي به علىٰ نصه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب.

ومنه: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته وقد أسلم جماعة عند سماع آيات كما وقع لجبير بن مطعم قال[٣]: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ:﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ.....أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [٤]، كاد قلبي أن يطير. وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي، وقد مات جماعة عند سماع آيات منه.

أفردوا بالتصنيف فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزًا[٥]؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن وجوه التأليف متضمنًا أصح المعاني من توحيد الله

---

(١) الشفا١/ ٥٢٩، ومعترك الأقران١/ ١٨٣.

(٢) البقرة: ٩٤، ٩٥.

(٣) صحيح البخاري برقم(٤٥٧٣)٤/ ١٨٣٩.

(٤) الطور: ٣٥- ٣٧.

(٥) الإتقان٤/ ١٦.

وتنزيه صفاته ودعاية إلىٰ طاعته وإرشاده إلىٰ محاسن الأخلاق، وزجره عن مساوئها، واضعًا كل شيء في موضعه الذي لا يرىٰ شيء أولىٰ به منه، مودعًا أخبار القرون الماضية، منبهًا عن الكوائن المستقبلة، ومعلوم أن الإتيان بهذه الأمور، والجمع بين أشتاتها أمر تعجز عنه قوىٰ البشر، فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته، ثم صار المعاندون يقولون: [١٤أ] شعر، لما رأوه منظومًا، وسحر لما رأوه معجوزًا عنه، ومرة أساطير الأولين، لما رأوه مخبرًا عنها، مع علمهم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، وليس عنده من يملي عليه أو يكتب له ونحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والعجز، وقد كانوا يجدون له وقعًا في القلوب وفزعًا في النفوس يريبهم ويحيرهم، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوع اعتراف، ولذلك قالوا: "إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة"[1].

(١) جزء من حديث، سبق تخريجه.

تنبيهات:

الأول: اختلف في قدر المعجز من القرآن فذهب بعض المعتزلة[1] إلىٰ أنه متعلق بجميعه، والآيات السابقة في: (عشر سور، وسورة، وحديث) تكذبه، وقال قوم[2]: يتعلق بقليل القرآن وكثيره؛ لقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾[3]، قال القاضي[4]: ولا دلالة فيه؛ لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة، فالتحقيق أن الإعجاز إنما يتعلق بسورة تامة ولو قصيرة أو بقدرها من الكلام بحيث يتبين فيه تفاضل قوىٰ البلاغة وضعفها، فإذا كانت آية بقدر حروف سورة، وإن كانت كـ "سورة الكوثر" فذلك معجز، وقيل: بل يشترط تعدد الآيات[5].

الثاني: قيل[6] التحدي إنما وقع للإنس دون الجن؛ لأنهم ليسوا من أهل اللسان وإنما ذكروا في آية: ﴿لَئِنِ اجْتَمَعَتِ﴾[7] تعظيمًا لإعجازه فإذا فرض معاونة الثقلين لبعضهم وعجزوا فالفريق الواحد أعجز، وقيل وقع للجن أيضًا

---

(١) الإتقان٤/ ٢٠.

(٢) قول أبي الحسن الأشعري. إعجاز القرآن للباقلاني ص٢٥٤.

(٣) الطور: ٣٤.

(٤) إعجاز القرآن ص٢٥٤.

(٥) قال ابن عطية: والقدر المعجز من القرآن ما جمع الجهتين: اطراد النظم والسرد، وتحصيل المعاني وتركيب الكثير منها في اللفظ القليل فأما مثل قوله تعالىٰ: ﴿مُدْهامَّتانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] وقوله: (ثُمَّ نَظَرَ) [المدثر: ٢١] فلا يصح التحدي بالإتيان بمثله، لكن بانتظامه واتصاله يقع العجز عنه. المحرر الوجيز٣/ ١٢١.

(٦) الإتقان٤/ ٢٢، ومعترك الأقران١/ ٧.

(٧) الإسراء: ٨٨.

والملائكة منويون في الآية ؛ لأنهم عاجزون أيضًا .قال الكرماني[1]: وإنما لم يذكروا في الآية :لأنه ﷺ [١٤ب] غير مبعوث إليهم.

الثالث: سئل الغزالي[2] عن قوله – تعالىٰ – ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾[3]، فأجاب: بأنه ليس المراد نفي اختلاف الناس فيه ؛ بل نفي مطلق الاختلاف عن ذاته كالاختلاف بالفصاحة وعدمها أو بالدعوىٰ إلىٰ الدين تارة والدنيا أخرىٰ أو اختلاف الأسلوب والنظم بأن يكون بعضه علىٰ أسلوب خاص وبعضه يخالفه علىٰ منهاج واحد في النظم مناسب أوله آخره في الفصاحة مسوق لغرض واحد وهو دعوة الخلق إلىٰ الله تعالىٰ، وصرفهم عن الدنيا إلىٰ الدين وكلام الآدميين تتطرق إليه هذه الاختلافات، فيشتمل علىٰ الغث والثمين، ولا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميعه ؛ بل في تفاريق وأجزاء منه يسير ثم تعرض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه وكذا يشتمل علىٰ أغراض مختلفة فيمدحون الدنيا تارة ويذمونها أخرىٰ ويمدحون الجبن تارة ويسمونه حزمًا ويذمونه أخرىٰ ويسمونه ضعفًا إلىٰ غير ذلك.

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفىٰ: نحو ٥٠٥ هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت١/ ٦٤١.

(٢) البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفىٰ: ٧٩٤ هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابىٰ الحلبي وشركائه الطبعة: الأولىٰ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م ٢/ ٤٦.

(٣) النساء: ٨٢.

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ [1]: سُئِلَ بُنْدَارٌ الْفَارِسِيُّ عَنْ مَوْضِعِ الْإِعْجَازِ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ هَذِهِ مَسْأَلَةٌ فِيهَا حَيْفٌ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّهُ شَبِيهٌ بِقَوْلِكَ: مَا مَوْضِعُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْإِنْسَانِ؟ فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَوْضِعٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، بَلْ مَتَىٰ أَشَرْتَ إِلَىٰ جُمْلَتِهِ فَقَدْ حَقَّقْتَهُ وَدَلَّلْتَ عَلَىٰ ذَاتِهِ كَذَلِكَ الْقُرْآنُ لِشَرَفِهِ لَا يُشَارُ إِلَىٰ شَيْءٍ فِيهِ إِلَّا وَكَانَ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ آيَةً فِي نَفْسِهِ وَمُعْجِزَةً لِمُحَاوَلِهِ وَهُدًىٰ لِقَائِلِهِ، وَلَيْسَ فِي طَاقَةِ الْبَشَرِ الْإِحَاطَةُ بِأَغْرَاضِ اللهِ فِي كَلَامِهِ وَأَسْرَارِهِ فِي كِتَابِهِ فَلِذَلِكَ[١٥أ] حَارَتِ الْعُقُولُ وَتَاهَتِ الْبَصَائِرُ عِنْدَهُ.

(١) الإتقان٤/ ١٤.

المراجع والمصادر

١. الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفىٰ: ١٣٩٦ هـ) ط: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشرة - أيار / مايو ٢٠٠٢ م

٢. أبجد العلوم ، لصديق حسن خان القنوجي ، ت/ ١٣٠٧ هـ ، تحقيق / عبد الجبار زكار ، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٧٨م .

٣. الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفىٰ: ٩١١ هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م

٤. أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، ط/ دار الفكر للطباعة والنشر –لبنان.

٥. أساس البلاغة–تأليف / أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط/ الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة الذخائر. المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانىٰ (المتوفىٰ: ٥٠٢ هـ) جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة ، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني ط: كلية الآداب – جامعة طنطا ، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي ، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت / لبنان – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، الطبعة: الأولىٰ.

٧. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبه (المتوفىٰ: ١٤٠٣ هـ) ط: مكتبة السنة، الطبعة: الرابعة

٨. الإصابة في تمييز الصحابة–للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ"، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط/ دار الجيل – الطبعة الأولىٰ، – ١٤١٢ – ١٩٩٢.

٩. إعانة الطالبين علىٰ حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية علىٰ فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (المتوفىٰ: ١٣١٠ هـ) ط: دار الفكر ،الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م

١٠. إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفىٰ: ٤٠٣ هـ) وهناك نسخة منه بتحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م

١١. الانتصار للقرآن ، المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفىٰ: ٤٠٣ هـ) تحقيق: د. محمد

عصام القضاة ،الناشر: دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم - بيروت ،الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

١٢. إيضاح المكنون في الذيل علىٰ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لإسماعيل باشا البغدادي ، ت/ ١٣٣٩ هـ ، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٣. الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٧٤ هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ،الطبعة: الثانية

١٤. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تأليف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، وأحمد فريد المزيدي ، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م ، الطبعة: الأولىٰ.

١٥. البحر المحيط-لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٦. البرهان في علوم القرآن ، المؤلف: بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللهِ بْن بهادر الزركشي (المتوفىٰ: ٧٩٤ هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولىٰ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ط: دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابىٰ الحلبي وشركائه

١٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة-للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)-تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم-المكتبة العصرية-بيروت-١٤١٩ هـ=١٩٩٨م.وإنباه الرواة ٣/ ٢١٩،

١٨. بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)] المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ) المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م ص٢٦.

١٩. تاج العروس من جواهر القاموس-للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضىٰ الزبيدي-منشورات دار مكتبة الحياة-بيروت.

٢٠. تاريخ أبي زرعة الدمشقي ، المؤلف: عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي الملقب بشيخ الشباب (المتوفىٰ: ٢٨١ هـ) رواية: أبي الميمون بن راشد ،دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني (أصل الكتاب رسالة ماجستير بكلية الآداب - بغداد) ط: مجمع اللغة العربية - دمشق

٢١. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفىٰ: ٩١١ هـ) حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ط: دار طيبة.

٢٢. تفسير القرآن العظيم-لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) - دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١ هـ ، وطبعة دار مصر للطباعة - القاهرة.

٢٣. تفسير القرآن، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب ، ط/ المكتبة العصرية - بيروت.

٢٤. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد ، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة: الأولىٰ.

٢٥. التفسير والمفسرون المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفىٰ: ١٣٩٨ هـ) ط: مكتبة وهبة، القاهرة

٢٦. التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، للزركشي ، دراسة وتحقيق / يحيىٰ بم محمد الحكمي، ط/ مكتبة الرشد بالرياض، ط٢-٢٠٠٤م.

٢٧. جامع البيان في تأويل القرآن-لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)-، تحقيق أ/ محمود شاكر، ط/ دار المعارف . و ط/ الحلبي -١٩٦٨م- ط٣، وط/ دار الفكر -بيروت.

٢٨. الجامع لأحكام القرآن-لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ)-دار الريان للتراث عن طبعة دار الكتب المصرية.

٢٩. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ،المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) المحقق: د. محمود الطحان ، ط: مكتبة المعارف – الرياض

٣٠. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِىٰ وكِفَايةُ الرَّاضِىٰ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوي ، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩ هـ) دار النشر: دار صادر – بيروت

٣١. حجة القراءات–لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق/ سعيد الأفغاني–مؤسسة الرسالة–بيروت–ط ٤–١٤٠٤ هـ =١٩٨٤م.

٣٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء–للحافظ أبي نَعِيمٍ أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)–دار الكتاب العربي–بيروت–ط ٤–١٤٠٥ هـ=١٩٨٥م.

٣٣. الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، المؤلف علىٰ مبارك ، ط: مصر الكبرىٰ الأميرية ١٣٠٦، ط: الأولىٰ.

٣٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور–لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)–ط ١–١٣٦٥ هـ–دار المعرفة–بيروت.وط/ دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣.

٣٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني –للآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي–بيروت–ط ٤–١٤٠٥ هـ=١٩٨٥م.

٣٦. سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد ، للشامي، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود ، ط/ دالر الكتب العلمية –بيروت، ط١–١٤١٤ هـ.

٣٧. سنن أبي داود-للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق السيخ/ محمد محيي الدين عبد الحميد- ط/ دار الفكر.

٣٨. سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح-للإمام محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٩. السنن الكبرىٰ، للنسائي، تحقيق: د/ عبد الغفار سليمان البنداري أ وسيد كسروي حسن ، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١، الطبعة: الأولىٰ.

٤٠. سير أعلام النبلاء-لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)- تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرين-مؤسسة الرسالة-بيروت-ط ٤-١٤٠٦ هـ=١٩٨٦م.

٤١. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، لعلي بن برهان الدين الحلبي، ط/ دار المعرفة - بيروت – ١٤٠٠ هـ.

٤٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ، محمود الأرناؤوط ،ط ط/ دار بن كثير - دمشق ، ط١- ١٤٠٦ هـ.

٤٣. شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، المؤلف: د. مُساعِدُ بن سُلَيْمَان بن نَاصِر الطَّيَّار ، ط: دار ابن الجوزي ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ

٤٤. شعب الإيمان، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠، الطبعة: الأولىٰ.

٤٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاضي عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفىٰ: ٥٤٤ هـ)، دار الفيحاء – عمان، الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ه

٤٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفىٰ: ٣٩٣ هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

٤٧. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان-تأليف الأمير/ علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)-تحقيق/ شعيب الأرنؤوط-مؤسسة الرسالة- بيروت-ط ٢-١٤١٤ هـ=١٩٩٣م.

٤٨. صحيح البخاري-للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ - تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا ، ط/ دار ابن كثير اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة.

٤٩. العين-للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)-تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي-دار الرشيد-بغداد-١٩٨٠ هـ=١٩٨٢م.

٥٠. غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥ هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة ، مؤسسة علوم القرآن –

٥١. غريب القرآن، لأبي بكر محمد بن عزيز العزيزي السجستاني، ط/ محمد علىٰ صبيح – ١٣٨٢ هـ-١٩٦٣م.

٥٢. فتح القدير الجامع بين فنيي الرواية والدراية من علم التفسير- تأليف/ محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)- دار الفكر – بيروت .

٥٣. فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي ، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ) المحقق: علي حسين علي، ط : مكتبة السنة – مصر ، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م

٥٤. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي علىٰ الكشاف) المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ ،مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، ط: جائزة دبي الدولية، الطبعة : الأولىٰ.

٥٥. الفريد في إعراب القرآن المجيد ، للمنتجب حسين بن أبي العز الهمذاني، ت/ ٦٤٣ هـ ، تحقيق د/ فهمي حسن النمر، د/ فؤاد علي مخيمر ، دار الثقافة – الدوحة ، ط/ الأولىٰ ، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م .

٥٦. فيض الباري علىٰ صحيح البخاري المؤلف: (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفىٰ: ١٣٥٣ هـ) المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بدابهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلىٰ فيض الباري) ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٥٧. قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، المؤلف: مرعي بن يوسف بن أبىٰ بكر بن أحمد الكرمىٰ المقدسي الحنبلىٰ (المتوفىٰ: ١٠٣٣ هـ) المحقق: سامي عطا حسن، ط: دار القرآن الكريم - الكويت

٥٨. الكامل في التاريخ-لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)-تحقيق/ أبي الفداء عبد الله القاضي-دار الكتب العلمية-بيروت- ١٤١٥ هـ، الطبعة: ط٢.

٥٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل-لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط/ دار إحياء التراث العربي، ط٢، ٢٠٠١م.

٦٠. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها-لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ-تحقيق د/ محيي الدين رمضان-مؤسسة الرسالة-بيروت-ط ٤-١٤٠٧ هـ=١٩٨٧م.

٦١. لسان العرب لابن منظور - ت/ عبد الله الكبير وآخريْن - ط/ دار المعارف.

٦٢. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥ هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني ، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة : الثانية

٦٣. مجاز القرآن-لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠ هـ)- تحقيق د/ محمد فؤاد سزكين-مكتبة الخانجي-القاهرة-١٩٨٨م.

٦٤. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها-لأبي الفتح عثمان بن جني-تحقيق/ علي النجدي ناصف وزميليه-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-القاهرة-١٤٢٠ هـ=١٩٩٩م.

٦٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز-لابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ)-تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد-دار الكتب العلمية-بيروت-ط ١-١٤١٣ هـ=١٩٩٣م، وبتحقيق/ أحمد صادق الملاح-جزء ١، ٢- ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م .

٦٦. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة-تأليف/ عَلِيٍّ بن إسماعيل بن سِيدَهْ (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق نخبة من الأساتذة ، ط/ الحلبي ، وتكملة / معهد المخطوطات.

٦٧. مختصر زاد المعاد ،المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦ هـ) ط: دار الريان للتراث – القاهرة ،الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١،٩٨٧م

٦٨. مختصر سيرة الرسول ﷺ ، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفىٰ: ١٢٠٦ هـ) ط : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨ هـ

٦٩. مدخل إلىٰ علم العقيدة د/ محمد يسري

٧٠. المستدرك علىٰ الصحيحين–لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) – تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م، الطبعة: الأولىٰ.

٧١. مسند الإمام أحمد–للإمام/ أحمد بن حنبل، ط/ مؤسسة قرطبة – مصر.

٧٢. معاني القرآن لمحمد بن المستنير قطرب المتوفى ٢٠٦ه ، إعادة بناء ودراسة، أ.د/ عيسىٰ شحاته عيسىٰ ،ط جامعة الطائف٢٠١٠

٧٣. معاني القرآن وإعرابه ، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفىٰ: ٣١١ هـ) ط: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٧٤. معاني القرآن وإعرابه لأحمد بن يحي (ثعلب) ، جمع وتحقيق ودراسة د/ أحمد رجب أبو سالم، ط : أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ ٢٠١١

٧٥. معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م

٧٦. معجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفىٰ: ١٤٠٨ هـ) ط: مكتبة المثنىٰ – بيروت ، دار إحياء التراث العربي بيروت

٧٧. مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، وتفسير الفخر الرازي-تأليف الإمام/ فخر الدين محمد الرازي-دار الفكر-بيروت-ط ٣-١٤٠٥ هـ=١٩٨٥م.

٧٨. مفتاح العلوم ليوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفىٰ: ٦٢٦ هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م

٧٩. المفردات في غريب القرآن-تأليف/ أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) ، ط/ دار الفكر، بدون.

٨٠. المقصد العلي في زوائد أبي يعلىٰ الموصلي، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفىٰ: ٨٠٧ هـ) تحقيق: سيد كسروي حسن ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

٨١. مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبد العظيم الزرقاني، ط/ دار الفكر – لبنان – ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م، الطبعة: الأولىٰ.

٨٢. الموطأ-للإمام مالك بن أنس-صححه وعلق عليه / محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ عيسىٰ الحلبي، بدون.

٨٣. نشأة التفسير ومناهجه د/ محمود بسيوني فودة -رحمه الله- ط: الأمانة المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفىٰ:

١٣٩٩ هـ) عنىٰ بتصحيحه وطبعه علىٰ نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسىٰ الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان

٨٤. النكت والعيون: تفسير الماوردي-تصنيف/ أبِي الحسن عَلِيِّ بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت٤٥٠ هـ)-راجعه وعلق عليه/ السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم-دار الكتب العلمية- مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت- بدون.

٨٥. نواسخ القرآن، تأليف : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥، الطبعة: الأولىٰ.

٨٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان-لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١ هـ)-تحقيق د / إحسان عباس- دار الثقافة – بيروت.